وزارة التعليم العـــــالي والبحـــــث العلـــمي
جامعة عمار ثليجي الأغواط
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التـــاريخ

موضـــوع:

القوافل التجارية عبر الصحراء الكبرى من ق16م إلى بداية ق19م

مذكرة نهاية الدراسة لنيل شهادة الماستر في التاريخ
تخصص: تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر

إعداد الطالبتين:
حنان زخروف
فاطمة الزهراء محرز

إشراف الأستاذ:
شارف خالد

لجنـــــة المناقشة

الأستـــاذ	.....خالد شارف.....	مشرفا ومقررا
الأستـــاذ	.....عبد الرحمان قفاف.....	رئيســـــا
الأستـــاذ	.....بومدين كعبوش.....	مناقشـــــا

السنة الجامعية: 2016-2015

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

الحمد الله رب العالمين والصلاة وسلام على رسول الله وأننا

بعد شكر الله عز وجل شكرا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه

على توفيقه لنا للإمام بهذا الجهد المتواضع نتقدم بالشكر

الجزيل إلى كل من ساعدنا بهذا البحث بجهده أو مشورته

أو تشجيعيه ونخص بالشكر والثناء وعظيم الامتنان الأستاذ:

المشرف خالد شارف على ما تفضل به علينا من الإشراف

والتوجيه والتعليم فجزاه الله خيرا الجزاء ووفقه لفعل الخير دائما

دون أن ننسى ما تفضل به أستاذنا بومدين كعبوش من مساعدة

لهذا الإنجاز

كما يسعدنا أن تسجيل شكرنا إلى كافة أعضاء هيئة التدريس

في قسم علوم إنسانية الذين دروسنا ونهلنا من علمهم وتعملنا

واستفدنا من خبرتهم

فاطمة الزهراء - حنان

حنان

الى كل طالب علم يريد التميّز

إلى

كل من لقنني معلومة أو مهارة أو سلوكا

إلى عائلتي (أبي – أمي – إخوتي)

إليكم

فاطمة الزهراء

إلى الوالدين الكريمين حفظهما الله

إلى الإخوة كل باسمه

إلى جميع الأصدقاء

أهدي ثمر هذا العمل المتواضع كل ساهم في إخراج هذه المذكرة

وأرجوا من الله عز وجل القبول والثواب

قائمة المختصرات

باللغة العربية

تر	ترجمة
تح	تحقيق
تق	تقرير
تع	تعريب
ج	الجزء
مج	المجلد
ط	الطبعة
(د.ن)	دون دار النشر
(د.م.ن)	دون مكان النشر
(د.ت)	دون تاريخ
ص	الصفحة

باللغة الأجنبية:

P	Page

مقدمـــة

لعبت الصحراء دورا كبيرا وهاما في تاريخ مناطق مختلفة من العالم وخاصة المناطق العربيـــة، و لم تكن الصحراء الافريقية الكبرى استثناء في هذا الميدان، فعلى الرغم من اتســـاعها وارتفـــاع درجات الحرارة بها وندرة المياه والنباتات في معظم أرجائها، فإنها لم تكن منطقة خالية من الحيـــاة البشرية عبر تاريخها، إذ لم تثن ظروفها الطبيعية القاسية الانسان عن محاولة التكيف معها، فنتج عن صراعه مع الطبيعة هنالك نمط حياة متميز ومتكامل بأبعاده المادية والروحية، كما ربط علاقـــات تجارية مع المناطق المجاورة، فربطت المسالك بين مختلف القرى والمدن والممالك داخـــل الصـــحراء وعبرها بين المناطق الواقعة خلف ضفتيها الشمالية والجنوبية، فكانت الصحراء بمواردها الاقتصادية المتنوعة وموقعها الجغرافي وحيوية سكانها محور تلك التجارة وعنصرها الفاعل، وشيئا فشيئا اتسع نطاق التجارة عبر الصحراء الافريقية الكبرى ليشمل مناطق أخرى متعددة من العالم القديم في آسيا عبر مصر وفي أوربا عبر المغرب والأندلس فضلا عن مشاركة معظم مناطق افريقيا فيها، ولعبـــت تلك التجارة بالإضافة الى دورها الاقتصادي دورا متميّزا في نقل المؤثرات الثقافيـــة بـــين الأمـــم والشعوب التي شاركت فيها، مما خفف من عزلة الصحراء وساعد علـــى ربطهـــا بالحضـــارات الانسانية.

اننا نتحدث عن التجارة عبر الصحراء أو التجارة القوافلية طيلة تاريخ الصـــحراء الكـــبرى والمغرب العربي والمناطق المجاورة حتى نعرف بلا شك الدور الذي لعبته القافلة كعمـــود فقـــري بالنسبة لكل السلالات التي تعاقبت على حكم المغرب تقريبا وبدون استثناء، كما نعرف الـــدور الذي لعبته الطرق أيضا في قيام الدول التي ازدهرت في بلاد السودان (الشرقي-الأوسط-الغـــربي) مثل دول غانا ومالي وسنغاي...

اذن هناك هاجس مشترك تتحدث عنه خلال العصور الحديثة وان كان الامتداد من العصور الوسطى وهو القافلة غير أننا غالبا ما نتحدث عن القافلة (كشيء هكذا) لأنه يصعب علينا تصور ماهيتها لذلك حاولنا توضيح ذلك ضمن طرحنا هذا.

جاء اختيارنا لهذا الموضوع دون سواه نتيجة لجملة من الاعتبارات لعل من أبرزها الـــدور الكبير الذي لعبته هذه المنطقة عبر التاريخ، فقد تمكن الانسان فيها من استغلال موقعها الجغـــرافي والبعد الحضاري الذي استمده سكانها عبر التاريخ باعتبارهم جزءا من سكان المغرب الكـــبير لا يختلفون عنهم جنسا ولا لغة، وبالتالي كانوا يتأثرون بالتطورات التي كانـــت بمنطقـــة الشـــمال

الافريقي التي تعرفها من حين لآخر فكان الصحراويون عندها يستقبلون تيارات حضارية جديـــدة بواسطة مجموعات بشرية وافدة عليهم من الشمال أو عن طريق صلاتهم المباشرة والمستمرة، حيث لم تكن تفصلهم عن سكان الشمال حواجز طبيعية أو لغوية، يقومون بعد استيعاب تلك التيارات وتكييفها مع واقعهم وثقافتهم بنقلها الى جيرانهم الجنوبيين خصوصا غرب افريقيا.

على الرغم من أن التصور المبني على عزلة الصحراء الافريقية وعدم مواكبتها للتطورات التي عرفتها مناطق العالم الأخرى قد تم تجاوزه بواسطة البحوث والدراسات العديدة التي خصصت لها، فانه من الملاحظ أن توزيع تلك الأعمال بين مناطق الصحراء والحقب التاريخية التي مرت بهـــا لم يكن متوازنا، ولعل أهم مثال على ذلك ندرة الدراسات والبحوث حـــول الصـــحراء الافريقيـــة الكبرى هذه الأطروحة "**تجارة القوافل عبر الصحراء الكبرى 16م – 19م**".

ولاشك أن هناك دوافع موضوعية شجعتنا على خوض غمار هذا الموضـــوع المتشـــابك الأوصال منها ندرة الدراسات التي تعالج، مثل هذا البحث مما أدى إلى عدم وفرتها، بشكل واسع ومما حثنا أيضا على تحقيق هذا العمل في توجه معظم اهتمامات الدارسين في هذا الميدان الى الفترة الوسيطية التي كانت الصحراء مرتعا لنشاطها، فيها أهمل جانب الأحداث والوقائع خلال الفتـــرة الحديثة ولا يفوتنا ذكر رغبتنا في الوقوف على التطورات التي عاشتها الصحراء الكبرى، انجر عنها تنامي حركية القوافل التجارية بها.

اذن هذه المنطقة الصحراوية التي شكلت قنطرة التواصل بين الشمال والجنوب وظلت منـــذ العصور الغابرة وحتى عهد حديث البوابة الرئيسية لإفريقيا جنوب الصحراء على حضارات البحر الأبيض والعلم، جديرة في نظرنا بالدراسة فالبحث في تاريخها يلقي أضواء على تـــاريخ المنـــاطق المجاورة لها كما أن دراسة دورها في ربط وتنشيط الصلات بين مناطق مختلفة من العـــالم لا يقـــل أهمية عن ذلك.

مع أننا لا ندعي لأنفسنا شق طريق لم يسلك قبلنا في الموضوع فإننا لم نطلع حتى الآن على عمل مكرس لدراسة الاشكاليات التي يطرحها تاريخ المنطقة المذكورة خلال الفترة الزمنية الـــتي حددناها من القرن السادس عشر ميلادي الى غاية القرن التاسع عشر مـــيلادي ومنـــه نطـــرح اشكاليتنا كيف ساهمت القوافل التجارية في تنشيط اقتصاد الصحراء الكبرى وما مدى مســـاهمتها في اثراء الجوانب الأخرى بعدما تعدت صبغتها التجارية؟

ومع أننا استدرجنا الوفرة النسبية للمصادر والمراجع المتعلقة بالقرن (16-19م) وإن كانت بعضها قبل تلك الفترة للتمهيد فقد لهذا البحث للحجة عن أوضاع الصـــحراء خـــلال المراحـــل التاريخية السابقة للفترة المقصودة بالدراسة.

وقد اعتمدنا على جملة من الكتب خصوصا بما يتعلق بإفريقيا وبعض المقالات مكنتنا مـــن دراسة الموضوع على سبيل المثال كتاب التاريخ الاقتصادي لإفريقيا الغربية لمؤلفه: أج هوبكتر وقد استفدنا منه في الممارسات التجارية للقوافل التجارية والدور العالمي آنذاك لتجارة القوافل ومـــدى تطورها وهذا مرجع هام يمكن لا الاستغناء عنه في هذا الموضوع.

وفيما يخص الدراسات الأجنبية نذكر منها دراسة فنذكر منها دراسة كل مـــن (كاريـــت) بعنوان تجارة الجزائر مع افريقيا الوسطى ودول شمال إفريقيا: (Carette)

(Du commerce de l'Algerie avec l'Afrique centrale et les états barbaresque)

وأخرى ل دوماس: (Dumas) بعنوان الصحراء وتنظيم القافلة

(Caravance le sahraorganisatin D'une)

وكدراسة أولية لا يمكن الاستغناء عنها نجد: كُتاب الصحراء الكبرى وتجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن 19م التي تتناول جزئيات هذه الأطروحة التي كانت نعم العون لنا.

اعتمدت هذه الدراسة وتنظيمها وتحليلها واستنباط النتائج منها على مجموعة من المناهج منها التريخي الوصفي الذي سُلِك لاستعراض المادة ذلك بعض الأحداث والوقائع التاريخيـــة تتطلـــب عرض النصوص بكل أمانة علمية والمنهج التحليلي من أجل اعطاء النتائج الموضوعية بعد تحليـــل المعطيات العلمية علاوة على المنهج المقارن للمقارنة بين الشمال والجنوب واستخلاص الأحداث.

انطوى موضوع دراستنا على مقدمة وثلاث فصول وخاتمة وذلك على النحو التالي:

المقدمة: وقد عرضنا فيها الموضوع والاشكاليات التي يطرحها، وبَيّنَـــا حـــدوده المكانيـــة والزمنية، وحاولنا إلقاء نظرة نقدية خاطفة على المصادر والمراجع المعتمدة.

أما **الفصل الأول**: فقد خصصناه ل: الاطار الجغرافي والاقتصادي للصحراء الكبرى، فعرجنا على تسمية البلاد، ثم عرضنا فيه وبشكل موجز لمظاهر سطح الأرض والحدود المكانية للصـــحراء

الكبرى أما الشطر الثاني خصصناه للحديث عن التركيبة الاجتماعية وعن أهم الأنشطة التي كانت متاحة لسكان الصحراء، فحددنا طبيعتها والأهمية التي يلعبها كل واحد منها في حيـــاة ســـكان الصحراء.

ويتعلق **الفصل الثاني**: ب: القوافل التجارية بالصحراء الكبرى ماهيتها-تنظيمها وفيه حاولنا رسم خريطة لأهم شبكات الطرق والمراكز التجارية المذكورة في بعض الرحالات العربيـــة ولـــو بشكل نادر بالرحلات الأوروبية الممهدة للغزو الأوروبي والتعرف على السلع والأسعار التجاريـــة آنذاك..

وفي **الفصل الثالث**: الذي يحمل اسم دور القوافل التجارية بالصحراء الكبرى التي كانـــت تحمل البضائع المختلفة إلى الجنوب وتعود محملة ببضائع الأخرى وفي نفس الوقت بمثابـــة شـــريان دموي يحمل في تنقله مفاهيم وتصورات وعادات وأنماطا من الحياة من الشمال الى الجنوب، ومن الجنوب إلى الشمال يبرز هذا في الدور الاقتصادي والاجتماعي، الثقافي والديني لهذا الجزء الأخـــير من الأطروحة.

الخاتمة: تحمل في طياتها رحيق هذه الأطروحة من خلاصة هذا البحث الأكـــاديمي للشـــأن الصحراوي بما يعرف بالصحراء الكبرى، وأن قدمنا جانباً علمياً مميزاً.

غير أننا واجهتنا عدة صعوبات أثناء انجاز هذا البحث و هي ميزة ترتبط بكل بحث في علم التاريخ، منها نقص بعض المصادر الهامة على مستوى المكتبات المحلية ذات العلاقة بهـــذا البحـــث خصوصا الأجنبية منها لكن على الرغم من هذه الصعوبات توصلنا إلى بناء هذا الموضوع العلمي المتواضع الذي لا يخلوا دون شك من النقائص والعيوب التي يتميز بها كل بحث أكاديمي علمـــي، ولا ندعي أننا أحطنا بجميع جوانب هذا الموضوع لأن الطاقة البشرية محدودة بالزمان والمكان.

وفي هذا الصدد لا يفوتنا أن نعتذر لأعضاء اللجنة الموقرة عما صدر فيه من أشـــكال هـــذا الخلل وينبغي الإشارة إلى أن ميدان الصحراء الكبرى لا يزال ميدان خصيب للدارسة، وينتظر من يكشف على أسراره ومكنوناته ومن ثمة لا يسعنا في ختام هذه المقدمة تمنياتنا أن نكون قد وضعنا لبنة جديدة في صرح البحث العلمي لجامعتنا جامعة **عمار ثليجي**.

الفصل الأول
جغرافية الصحراء الكبرى

I. التسمية والحدود الجغرافية

1ـ التسمية

2ـ الحدود المكانية للصحراء

3ـ مظاهر الجغرافية للصحراء

II. التركيبة الاجتماعية

1ـ سكان الصحراء

2ـ طبائعهم وديانتهم

III. البنية الاقتصادية

1ـ الأنشطة الاقتصادية لسكان الصحراء

2- الجانب التجاري

يَدَّعُون أن الصحراء تمثل حاجزا ضخما وعائقا طبيعيا يفصل بين شمال القارة وجنوبها وذلك قول غير مقبول، وعار على الصحة، بيّنت زيفه أبحاث تاريخية أصيلة، بل كان للصحراء عبر التاريخ دور كبير ومباشر في تنشيط التواصل بين أقطار متاخمة لها شمالا وجنوبا، بل كانت بمثابة قنطرة التي يتحرك عليها الطرفان للتبادل التجاري والترابط الثقافي والاجتماعي.

I. التسمية والحدود الجغرافية :

1- التسمية:

عرفت المنطقة الصحراوية الفاصلة بين الشمال وغرب افريقيا عبر تاريخها الطويل عدة تسميات عديدة، اختلفت باختلاف الفترات الزمنية المتعاقبة فمن بين التسميات هي تسمية "صحراء الملثمين"[1]، نظرا لسيطرة الملثمين اقتصاديا وسياسيا على الصحراء إذ يضيفها إليهم ابن خلدون مثلا في قوله "كان هؤلاء الملثمين في صحاريهم كما قلناه..."[2].

كلمة الصحراء الكبرى[3] التي نتداو لها اليوم لم تستعمل إلا حديثا ودلت استعمالاتها المتعددة على أنها تشير إلى النطاق الواسع الممتد من بلاد البربر وإقليم البحر المتوسط شمالا إلى بلاد السودان[4] جنوبا دون تحديد دقيق[5]، والصحراء كلمة عربية تعني الأرض الجرداء، لكن العرب الذين توضعوا على اطلاق كلمة الصحراء أطلقوها على أي بقعة جرداء رملية وقد عرفها كل من ابن المنظور" بأنها الأرض المستوية في لين وغلظ، وقيل أنها الفضاء الواسع "[6].

---

[1]– **الملثمون:** تسمية أطلقها مؤلفوا كتب المسالك والممالك والمؤرخون العرب في القرون الوسطى على سكان الصحراء الفاصلة بين الشمال الافريقي وبلاد السودان، واشتهرت القبائل الصنهاجية بتلك التسمية عندما نتحدث عن اللثام كعادة من عادات صنهاجة الصحراء، أنظر: الناني ولد الحسن، **صحراء الملثمين**، ط1، دار المدار الاسلامي، لبنان،2007، ص17.

[2]–عبد الرحمن بن خلدون، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، مج 6، منشورات الكتاب اللبناني، بيروت، 1962، ص373.

[3]– أحمد بوعتروس، **الحركات الاصلاحية في إفريقيا جنوب الصحراء إبان القرن 13 هـ–19 هـ**، دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر، 2009، ص41، أنظر الملحق رقم:01ص 64

[4]– **السودان:** تلك التي تعيش في أقاليم السودان وهي عبارة عن مئات القبائل والشعوب التي تتكلم اللغات السودانية، والسودان بمفهوم العصر هو ذلك الإقليم الواقع بين الصحراء الكبرى وخط الاستواء وتمتد حدوده الشمالية على الخط الوهمي الذي ينحني ويتعرج من بدايته عند مصب نهر السنغال ويمر خلال تنبكتوا إلى الخرطوم وكسلا، بينما يمتد خط الحدود الجنوبية من سواحل غينيا على طول خط 5 شمالا حتى الحدود الأثيوبية، أنظر: عطية مخزوم الفيتوري، **دراسات في تاريخ شرق إفريقيا جنوب الصحراء (مرحلة انتشار الإسلام)**، ط1، منشورات قازيونس، بنغازي، 1998، ص18،19، أنظر الملحق رقم02ص65

[5]–اسماعيل العربي، **الرحلة والاستكشاف في البر والبحر**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص287.

[6]– ابن منظور، **لسان العرب**، مج 4، دار صادر، بيروت، د ت، ص433.

أصبحت كلمة الصحراء بعد ذلك وراحت تدور على أقلام الجغرافيين وخصوصا عند كل من الإدريسي والبكري وإذ يقول هذا الأخير: "أن الماء متوفر في الصحراء من واد درعة إلى واد تارجا وهو أول الصحراء، ثم تمشي في الصحراء فتجد الماء على يومين أو ثلاث"[1].

ومن هنا الصحراء الإفريقية الكبرى يتخللها الواحات وبها آبار المياه على هوامش الطرق، وتتلقى مناطقها كميات مختلفة من الأمطار فهي تختلف عن صحراء شبه الجزيرة العربية وباقي صحاري المكسيك وقارة أستراليا[2].

أما الإدريسي قد أطلق على هذا النطاق "الذي يقع جنوب النيجر في خريطته، ووضع كلمة الصحراء في الحزام المحصورين بلاد السودان جنوبا وسلسلة الأطلس الصحراوي شمالا، ومناطق صنهاجة[3] غربا ومنطقة فزان شرقا"[4].

ثم جاء الحسن الوزان في 10هـ-16م باعثا من جديد أسماء القدماء، ليبيا ونوميديا، ولم تلبث كلمة الصحراء أن اتسع مدلولها، فبعد أن كانت تطلق على هضبة "آير"« Air»[5] وأصبحت تضم كل منطقة الصحراء بين البحر الأبيض المتوسط والسودان[6].

وقد أورد الوزان نفسه قوله: "وراء جبال الأطلس تقع سهول نوميديا التي ينبت فيها النخيل وهي بلاد تكاد تكون كلها رملية، وبعدها تأتي صحاري ليبيا والتي هي بدورها رملية وتمتد إلى بلاد السودان وتكثر فيها الجبال ومن وراء صحاري ليبيا بلاد السودان معظمها سهل رملي"[7].

---

[1]- أبو عبد الله البكري، **المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب**، تح: دي سلان، مكتبة الحكومة، الجزائر، 1857، ص 163.

[2]-اسماعيل العربي، **مسالك الاسلام والعربية الى الصحراء الكبرى**، مجلة الثقافة، العدد 62، مارس أفريل، 1981، الجزائر، ص41.

[3]- **صنهاجة:** تعتبر القبائل الأمازيغية الصنهاجية من أكبر التجمعات القبلية البربرية التي استوطنت المغرب الأقصى الى جانب القبائل الزناتية والمصمودية وتنحدر القبائل الصنهاجية من أصول غامضة أنظر: أحمد البوزيدي، **التاريخ الاجتماعي لدرعة مطلعالقرن17م، مطلع القرن20م (دراسة في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية من خلال الوثائق المحلية)**، آفاق المتوسطية، الدار البيضاء، 1994، ص39/ وأشار البكري في سياق حديثه عن القبائل الصنهاجية لجنوب المغرب إلى أن هذه القبائل هي مسوفة، ولمتونة، وجدالة، كانت متمسكة بمذهب مالك بن أنس(رضي الله عنه) منذ أواسط القرن 5هـ، أنظر: البكري: المصدر السابق، ص164.

[4]-جمال الدين الديناصوري وآخرون، **جغرافية العالم**، ج1، مكتبة الأنجلو مصرية، 1967، ص2.

[5]- **آير**: اقليم جبلي بين دائرتي عرض 16°و20°شمالا، 5900 كلم^2 اكتشفه الرحالة الألماني بارث 1850وفي سنة 1899، تجولت فيه فرقة فورلامي الصحراوية، وترجع أهمية المنطقة الى موقعها في ملتقى طرق القوافل التجارية الرابطة بين سكوتو وجنوب النيجر وتوات وغات وغدامس وملاحات بالما، أهم مدنه أجاديس، أنظر: اسماعيل العربي، **الصحراء الكبرى وشواطئها**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1980، ص191-194.

[6]- جمال الدين الديناصوري وآخرون، مرجع سابق، ص2.

[7]- حسن بن محمد الوزان، **وصف افريقيا**، تح: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1983، ص72.

2- الحدود المكانية للصحراء:

يقول مارمول كربخال عن القسم الثالث من إفريقيا المسمى الصحراء والقبائل التي تعيش فيه:" الصحراء هي أصغر قسم في إفريقيا تبتدئ من جهة الغرب عند ساحل المحيط وتمتد من هنا على طول نفس الساحل حتى تصل إلى نهر السينيغال وتسير من جهة الشرق تخوم مدينة الواحات ومملكة كَاوكَة (في السودان)، ويحدها شمالا مفازات بلاد الجريد وجنوبا بلاد السود وهي ليبيا الداخلية التي يصفها بطليموس، ويدخل فيها أيضا نوميديا وأثيوبيا السفلى ويجعلها متاخمة في الشمال للموريتانيين ولأفريقيا بالذات وسيرانكة ويحدها شرقا بجزء من المزامبيق وأثيوبيا القريبة من مصر إلى طنجة التي هي طرف موريتانيا الطنجية[1]، وعن ذكر أبي زرع للصحراء أنها"(...مسيرة سبعة أشهر طولا وأربعة أشهر عرضا: من نول لمطة[2] إلى قبلة القيروان من بلاد افريقية، وهي ما بين بلاد البربر وبلاد السودان...)[3].

والصحراء الافريقية الكبرى تقع بين مارماريكا[4] وبلاد طرابلس وبرقة وبلاد البربر "المغرب العربي "شمالا، وبلاد السودان شرقا، ويذهب جغرافيون آخرون إلى مد رقعة الصحراء أكثر من ذلك باتجاه الشرق، ويجعلون حدودها البحر الأحمر[5] .

تبلغ مساحة الصحراء الإفريقية الكبرى التي عبرها الكثير من العلماء والتجار والدعاة والمصلحون المسلمون عبر الأزمان والعصور ثمانية ملايين كم[2]، أي أكثر من ربع مساحة القارة السمراء، وتشغل هذه الصحراء النصف الشمالي من إفريقيا وتمتد على نحو 5600كم من المحيط الأطلنطي غربا الى البحر الأحمر شرقا، وبعرض يقدر نحو 1900كم من الإقليم السوداني جنوبا حتى سواحل البحر المتوسط وسلاسل جبال الأطلس الصحراوي شمالا، وتضم هذه الصحراء

---

[1]-مارمولكربخال، **افريقيا**، ج1، تر: محمد حجي، محمد زنيبر، محمد الأخضر، أحمد التوفيق، أحمد بن جلون، مكتبة المعارف، المغرب، 1984، ص48.

[2]- أنظر الملحق رقم 03، ص 66.

[3]- الفاسي، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973، ص120.

[4]- **مارماريكا:** شبه الجزيرة المارماريكية هي مدينة طبرق الليبية القديمة قبل التوسع والإمتداد على مر السنوات أي بمعنى نصف المدينة الجزء الشرقي من مدينة طبرقة هم شبه جزيرة، والغربي الذي يضم الأحياء الجديدة لا يدخل في نطاق شبه الجزيرة جغرافيا، لأن للمدينة إمتداد كيلومترات في جميع الإتجاهات كذلك ينطبق على جزء الجنوبي من المدينة، سميت شبه الجزيرة المارماريكية نسبة إلى اقليم مارماريكا، أنظر: اسماعيل العربي، **الصحراء الكبرى وشواطئها**، مرجع سابق، ص 195.

[5]- محمد محمود الصياد، **مدخل للجغرافيا الاقليمية**، دار النهضة العربية للنشر، د.ت، ص113.

الفسيحة الأرجاء اليوم أجزاء من المملكة المغربية، الصحراء الغربية، موريطانيا، جنوب الجزائر وأقصى جنوب تونس، مالي، النيجر، تشاد، ليبيا، مصر، أثيوبيا، الصومال وجيبوتي[1].

بناءا على هذا دعى بعض الجغرافيين إلى تقسيم الصحراء إلى قسمين إحداهما الشرقية (صحراء ليبيا) وأراضيها يغلب عليها الطابع الصخري، والآخر يسمى الصحراء الغربية (الساحل) وسطحها رملي في معظم الجهات وطبيعةالقفز الذي تتميز به هذه الصحراء يجعل عبء الحياة ثقيلا على الانسان وهذه السمات مرجعها إلى طبيعة المناخ الحار والجفاف الذي يفرض خصائص الصحراء الحارة[2].

كما نجد بهذه الصحراء هامشين من البطاح والأدغال تمتدان من المحيط الأطلنطي غربا الى حوض النيل شرقا في شكل حلقة انتقال بين الصحراء والمناطق الخصبة في إفريقيا الاستوائية التي تقل فيها صفات الصحراء شيئا فشيئا كلما توغلنا جنوبا.

من هنا يمكن أن نقول:أن الصحراء الكبرى بمعناها الصحيح تشغل المنطقة المحصورة بين هذين الهامشين ويتخلل هذه المنطقة صحراء الرق والحمادة، وبالإضافة الى وجود بعض الوديان الجافة والمنخضات التي تتوفر على العديد من العيون والآبار التي تكون الواحات بعضها قائما بذاته وبعضها يجتمع كأرخبيل من الجزر وأهم هذه الواحات فزان وتوات[3]، وتافيلالت[4].

ولذلك فالاتصال بين شمالي الصحراء وجنوبها يعود الى أزمنة موغلة في القدم فقد كانت طرابلس الغرب وصبراته بليبيا من المراكز التي تعج بالنشاطات التجارية القرطاجية، حيث كانت عند هذين المركزين تلتقي طرق القوافل التي تشق الصحراء الكبرى وتربط بين البحر الأبيض المتوسط شمالا، وبلاد السودان جنوبا، ويذكر ابن حوقل الصيي التاجر والجغرافي المغربي (ت367هـ_977م) الذي تجول في بلدان المغرب والذي تكلم عن الثراء الذي بلغه التجار بموجب التبادل التجاري بين شمالي الصحراء وجنوبها[5].

---

[1]- أحمد بوعتروس، مرجع سابق، ص44.

[2]–صلاح الدين علي الشامي وآخرون، **جغرافية العالم الاسلامي**، ط1، منشأة المعارف الاسكندرية، 1987، ص158.

[3]– **توات**: تقع جنوب غرب الجزائر تبعد عن عاصمة الجزائر 1500كلم وتعتبر مركزا من المراكز التجارية الهامة، فهي واحة وسط الصحراء جعلها هذا الموقع حلقة وصل بين الشمال الافريقي وبين السودان الغربي عملت على تزويد التجار بما يلزمهم من ماء وغذاء وكانت تعرض فيها البضائع الواردة من الشمال، أنظر: فرج محمود فرج، **اقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع الميلاديين**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977، ص 1.

[4]– اسماعيل العربي، "**الصحراء الكبرى وشواطئها**"، مرجع سابق، ص33-34.

[5]– اسماعيل العربي، "**مسالك الاسلام والعربية الى الصحراء الكبرى**"، مرجع السابق، ص44.

خلاصة القول الصحراء الافريقية الكبرى تمثل اقليما طبيعيا واسعا يشمل معظم مساحة افريقيا الشمالية الغربية، أي من صحراء شنقيط[1] "موريتانيا الحالية" غربا، الى صحراء مصر شرقا ومن سواحل الليبية شمالا، إلى منخفض تشاد جنوبا[2].

3- المظاهر الجغرافية للصحراء:

ليس الغرض من دراسة مظاهر السطح في هذه المنطقة و معرفة تضاريسها فحسب، وانما نرمي من وراء التعرف عليها الى معرفة أثرها على المناخ، وبالتالي معرفة دورها في توجيه الأحداث التاريخية داخل الصحراء الكبرى جليا في نشاط التجارة وحركية القوافل التجارية بها.

لمعرفة مظاهر السطح بالمنطقة كان الرحالة يصحبون القوافل التجارية، أو كتابا يستقون معلوماتهم من التجار الذين عبروا الصحراء إلى بلاد السودان وعادوا إلى الشمال، ومن المعروف أن القوافل التجارية كانت تتحاشى المناطق الجبلية لصعوبة عبورها، فتضطر إلى تغيير اتجاهها.

ومن بين أهم مظاهر السطح السائدة السهول وتتشكل السهول أساسا من رواسب أفقية فتتناظر مع امتداد سلسلتي "اركيبات" في الشمال وجبال الموريتانيد في الغرب[3].

وقد تحدث الجغرافيون العرب عن التلال المنعزلة، خاصة البكري أثناء وصفه للمناطق التي كان يمر بها الطريق الرابط بين تادملتو أودغست، وكذلك الطريق الذي كان يتجه من وادي درعة[4]إلى الصحراء، وما أشار إلى غنى بعض تلك الجبال بالحديد (...ومنها إلى جبل يسمى بالبربرية آدرار أنوزال وتفسيره جبل الحديد...)[5].

يتميز الجزء الشمالي لهذه الصحراء بكونه عبارة عن مجموعة من الكثبان الرملية المتحركة، أما الأطراف الجنوبية كانت أكثر ثبات وكانت هذه الكثبان الرملية من بين أهم مصاعب عبور

---

[1]- **شنقيط:** معناها باللهجة البربرية عيون الخيل ولعل ذلك يرجع بأنها كانت رباطا لخيول الجيوش التي تتقدم من الشمال لفتح السودان أو أنها كانت محطة للقوافل التجارية التي كانت تجوب الصحراء، أنظر: الهام محمد علي ذهني، **جهاد الممالك الاسلامية في غرب افريقيا ضد الاستعمار الفرنسي(1850-1988م)**، دار المريخ للنشر، الرياض، 1988، ص57.

[2]- أحمد بوعتروس، مرجع سابق، ص49.

[3]- الناني ولد الحسين، مرجع سابق، ص 21،22.

[4]- **درعة:** تمتد هذه المنطقة من أفلا نَدْري (أعلى درعة) بالمدخل الشمالي لواحة مزجية إلى واحة محاميد الغزلان على مشارف الصحراء الكبرى وبما أن واحات وادي درعة بموقعها الجغرافي تعتبر صلة وصل بين بلاد السوس غربا وتافيلالت شرقا من جهة وبين افريقيا السوداء وجبال الأطلس الكبير وشمالي المغرب من جهة ثانية وبفضل هذا الموقع والظروف المادية والموضوعية لتصبح بؤرة تتفاعل داخلها التيارات الوافدة عليها من المناطق المجاورة، أنظر: أحمد البوزيدي، مرجع سابق، ص8.

[5]-البكري، مصدر سابق، ص156 -163-167 .

الصحراء، حيث نَوَهَ البكري[1]، كما أشار الإدريسي[2] إلى صعوبة عبور القوافل القادمة من شمال إفريقيا للصحاري الواقعة بين "بلاد الاسلام" وبلاد السودان.

يمكن تمييز منطقتين مناخيتين في الصحراء منطقة صحراوية شمالية تتميز بالحرارة وغالبا الجفاف وكذا منطقة ساحلية[3].

ولا يعني ما ذكرناه أن الصحراء كانت خالية من أي مظهر من مظاهر الحياة النباتية، حيث أن ظروف البيئة تتحكم في كثافة وتنوع النبات ولقد مكن الغطاء النباتي في الصحراء خصوصا ما يعرف بواحات النخيل الى استضافته للحيوانات المستأنسة ووجود حيوانات برية متنوعة[4].

وعلى العموم فإن مناخ الصحراء قد مكن ساكنيها من الحياة بها عبر العصور، ووفر لهم امكانيات اقتصادية متفاوتة الأهمية، ساعدتهم على مواجهة مصاعب الاستقرار بها.

II. التركيبة الاجتماعية:

إن الصحراء مترامية الأطراف، وهي تضم أجناسا متنوعة من البشر تختلف إلى حد ما عما نعهده في شمال أفريقيا خاصة، فهؤلاء يتعاملون مع أولئك ويخالطونهم في شتى الميادين والمعاملات والصحراويون يمتازون بخلال وطباع وتجارب تخصهم وتدل على شخصيتهم وعقليتهم وفطرتهم.

1- سكان الصحراء:

إذا كانت إفريقيا تنتمي إلى كتلة "العالم القديم" فإنها قد عرفت منذ القدم حضارات عريقة وخاصة منها الحضارة الصحراوية والحضارة المصرية.

وعندما جاء بنو هلال وبنو سليم في القرن الخامس إلى شمال إفريقيا، زحمو البربر الذين كانوا في الجبال والسهول، فخرجت جماعات من هؤلاء إلى الصحراء الكبرى وموريتانيا ولقد كانت

---

[1]- البكري، مصدر سابق، ص157.

[2]-الادريسي، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، الجزء الخاص بالقارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، تح: اسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص32.

[3]-**المنطقة الساحلية**: المنطقة الواقعة على الحدود الجنوبية للصحراء، والتي تختلف عنها من حيث مظاهر السطح والمناخ، وقد أطلقت عليها هذه التسمية منذ العصور الوسطى من طرف الكتاب العرب والمسلمين، حيث شبهوا الصحراء ببحر من الرمال، وأطلقوا على نهايتها (ساحل الصحراء) ثم استخدم المصطلح من طرف الأوروبيين في دراستهم ابتداء من القرن 19م، أنظر: ريمون فيرون، **الصحراء الكبرى "الجوانب الجيولوجية" مصادر الثروة المعدنية استغلالها**، تر: جمال الدين الدناصوري، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، 1963، ص25.

[4]-جون أفريك، **تاريخ افريقيا العام**، ج3، منظمة اليونسكوا، 1984م، ص610.

أكبر التجمعات البربرية في غرب الصحراء الكبرى هي لواتة وزناتة وصنهاجة والتي كانت تتفرع إلى فروع رئيسية هي لمتونة ومسوغة وغدالة.

قد كانت في حوض نهر السينيغال تنظيمات أو دول هي التكرور وسيلا وصنغانة كما قامت دولة غانة في الساحل ومالي في حوض النيجر الأعلى، أما قبيلة سنغاي فقد أقامت مملكة على حوض النيجر وتحولت الى امبراطورية استولت على منطقة الغانية المالية وغيرها الى أن قضى عليها المنصور السعدي ملك المغرب، وكانت مملكة كانم، وبورنو قائمة حول بحيرة تشاد[1].

البربر سكان المغرب الأوائل قبائل لا تحصى" لكثرة بطونهم وتشعب أفخاذهم وقبائلهم وتوغلهم في البراري وتبددهم في الصحاري"[2]، ومعظمهم متعزبون "لم يروا قط حاضرة ولا عرفوا غير البادية العازبة"[3].

نستطيع أن نميز بين صنفين من البربر الصحراويين: صنف متعزب وهم أهل الوبر، وصنف يسكن الحواضر مثل سجلماسة[4].

أما أهل السودان الغربي فقد وصفهم كل من ابن حوقل وابن بطوطة ببعض الصفات أبرزها تذللهم لملوكهم، ولهم في ذلك طقوس غريبة[5] ومن بين الفئات الاجتماعية للصحراء نجد:

الزنوج والحامون: يعتبر الزنوج أساس تكوين الحاليين للسودان الغربي ينقسمون إلى عدة أثنيات وقبائل، يمتازون بجماجم مستطيلة وبشرة سوداء، أما الحامون هم مجموعة من الشعوب التي تنتمي إلى العرق الأبيض القوقازي وتعود أصولها إلى آسيا ومن الأرجح الى جنوب الجزيرة العربية وقد استقرت في القرن الإفريقي[6] وغرب وشمال إفريقيا، ومن هم البربر الطوارق "التوارق" الذي يتواجدون في مالي والنيجر وليبيا والجزائر يعرفون بالملثمين.

---

[1]-عطية مخزوم الفتيوري، مرجع سابق، ص55.

[2]-ابن حوقل، **صورة الأرض**، منشورات دار مكتبة الحياة، لبنان، (د.ت)، ص97.

[3]-نفسه، ص98.

[4]-نفسه، ص99.

[5]-ابن بطوطة، **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، المطبعة الوطنية، باريس، 1874-1879، ص693-694.

[6]-**القرن الافريقي**: يضم (أثيوبيا- الصومال- جيبوتي)، أنظر: اجلال محمود رأفت و ابراهيم أحمد نصر الدين، **القرن الافريقي "التغيرات الداخلية والصراعات الدولية"**، دار النهضة، القاهرة، 1958، ص13.

الفولاني والمور: اختلفت أقوال المؤرخين والباحثين في أصل قبائل الفولاني فمنهم من يربطهم لغويا بالنوبة ومنهم من يرى بأنهم عنصر من البربر واستقروا في منطقة أدرار وأعالي السينغال[1] وقد تألفت حياة الفولاني من عدة قبائل صغيرة متناثرة تحيا حياة رعوية[2].

أما المور يتواجدون بشكل أساس في موريتانيا وبنسبة أقل في كل من السينيغال وغامبيا ومالي، وهم خليط من العرب والبربر ويتكلمون اللغة العربية اللهجة الحسانية وهم المور البيض والمور السود[3].

تختلف طرق معيشة كل من البرابرة الصحراويين والسودان باختلاف طبيعة الأراضي التي يعيشون فيها والظروف التي يخضعون لها.

تغلب الأجناس البشرية المنتشرة في قارة إفريقيا[4]، وهي الجنس الزنجي والجنس القوقازي وهذا الأخير ليس خاصا ببلاد القوقاز بل انه اصطلاح علمي بحت يطلق على بعض سكان غرب آسيا ومعظم سكان القارة أو النصف الشمالي والشمال الشرقي من افريقيا[5].

نخلص في الأخير أن هذه الأجناس البشرية قد اختلطت ببعضها البعض على مر العصور.

2- طبائعهم ودياناتهم:

يبدوا أن اسلام الأمازيغ الصحراويين كانت تشوبه شوائب من العادات الوثنية القديمة ولعل ذلك يرجع إلى أن هؤلاء قد قبلوا الإسلام دينا وارتضوه عقيدة وعبادات، ولكنهم لم يعرفوا ما يكفي على مستوى الشرائع والأحكام، ولعل عائق اللغة كان يقوم في أول الأمر حاجزا دون ذلك، وما يقال عن أهل الصحراء بهذا الشأن يقال كذلك عن السودان[6].

وصل الإسلام إلى بلدان إفريقيا والصحراء عبر بلدان المغرب العربي أو شمال إفريقيا الغربي، خاصة الجزائر، والمغرب الأقصى، منذ صدر الإسلام في القرن 7م واستمر في الانتشار والتوغل بين الشعوب والقبائل الزنجية الإفريقية حتى وصل إلى سواحل غانة جنوبا، والى المحيط الأطلسي غربا

---

[1]-محمد فاضل علي باري وسعيد ابراهيم، **المسلمون في غرب افريقيا تاريخ وحضارة**، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 2007، ص25.

[2]-Sligmen ,E ; **Races of Africa** , london, 1959, p ; 48.

[3]-حماه الله ولد السالم، **المجتمع الأهلي الموريتاني مدن القوافل (1591-1898م)**، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، مارس 2008، ص169-215.

[4]- أنظر الملحق رقم04 ص67

[5]- اجلال محمود رأفت و ابراهيم أحمد نصر الدين، مرجع سابق، ص 13.

[6]- البكري، مصدر سابق، ص181،182.

وذلك عن طريق الغزو والتجارة والدعاة المصلحين، والطرق الصوفية حديثا خاصة: "القادرية" أسسها محي الدين أبو محمد عبد القادر الجيلاني بن أبو صلاح موسى الحساني، من أوسع الفرق الصوفية انتشارا وقد دخلت إفريقيا الغربية في القرن الخامس عشر ميلادي على أيدي مهاجري توات (جنوب غرب الجزائر)، واتخذوا من مدينة ولاته (تقع جنوب موريتانيا حاليا)[1] أول مركز لطريقتهم ثم لجأوا إلى تمبكتوا في مالي واتبعوا أساليب مختلفة في نشر الدعوة الإسلامية قربتهم من الجماهير[2].

وفي مستهل القرن التاسع عشر الميلادي الثالث عشر الهجري نجد النهضة الروحية الكبيرة التي كانت تؤثر في العالم الإسلامي تأثيرا عميقا تدفع بأتباع القادرية الذين كانوا يقيمون في الصحراء الكبرى وفي السودان الغربي وكان أول من نشر القادرية في بلاد السودان الغربي هو الشيخ "محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني: "(فقيه ومفسر ومحدث، رحل إلى السودان الغربي لنشر أحكام الشرع وقواعده)"[3].

"التيجانية" رابطة روحية تأسست في القرن السادس هجري/12م على يد أبو العباس أحمد بن محمد بن المختار التيجاني في قرية عين ماضي بجنوب الجزائر، أنشأ طريقته عام 1782م، ثم صارت مدينة فاس المركز الأول لهذه الطريقة وقد لقيت هذه أنصارا عديدين في الصحراء الكبرى وغربي إفريقيا[4].

"السنوسية" أسسها سيدي محمد بن علي السنوسي (1205هـ_1864هـ) فرقة دينية صوفية تهدف إلى إصلاح شأن الإسلام ونشره ونشر العقيدة الإسلامية كان لها أثر بعيد في نشر الإسلام في غرب القارة وفي حوض النيجر بشكل خاص خلال القرن التاسع عشر ميلادي الثالث عشر الهجري أساس هذه الطريقة محمد السنوسي عام 1864م بناحية مستغانم بالجزائر، الذي أنشأ

---

[1]–**ولاته:** هي احدى مدن جمهورية موريتانيا الحالية، أنظر : الهادي مبروك الدالي، **التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء (من نهاية القرن الخامس عشر الى بداية القرن الثامن عشر)**، مكتبة الاسكندرية، 1998، ص306.

[2]–أحمد شلبي، **التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية**، ج2، الأنجلو مصرية، القاهرة، ص56.

[3]–حماه الله ولد سالم، مرجع سابق، ص227-228.

[4]–أحمد شلبي، المرجع السابق، ص 67.

زوايا وأربطة (جمع رباط)، في الواحات حول برقة وفزان في ليبيا وحول بحيرة تشاد في كانم وبرنوا وعمل على نشر الإسلام والعلم في تلك الربوع[1].

عرف الإسلام طريقه إلى غرب إفريقيا مند زمن بعيد أي اعتبارا من القرن الأول هجري حوالي منتصف القرن 7م وذلك بعد الفتح العربي لمصر ولقد انتشر الإسلام في صحراء الكبرى عن طريق التجارة، الهجرات العربية، الطرق الصوفية والمصاهرة، الاندماج، الكتب، المدارس والمساجد[2].

أما من ناحية التقاليد والعادات، كان بربر الصحراء عموما يستشحون بكساء ويلتزمون النقاب زاعمين "أن الفم سوأة تستحق الستر"[3]، حتى صار ذلك ألزم لهم من جلودهم، وهم يسمون من خالف من جميع الناس(أفواه الذبان) بلغتهم[4].

III. البنية الاقتصادية:

1- الأنشطة الاقتصادية لسكان الصحراء:

كان للوضعية البشرية الطبيعية والموقع الجغرافي، اللذين بيناهما آنفا أثر واضح على الحياة الاقتصادية بمنطقة الصحراء خلال فترات متعاقبة، فلقد شجعت الظروف الطبيعية التي كانت سائدة في المنطقة على انتشار الرعي كنشاط اقتصادي مهيمن لدى معظم سكانها، وكادت أجزاؤها تتخصص في نوعية الحيوانات التي تعيش بها، كما مورست بها أنشطة زراعية متفاوتة الأهمية، بالإضافة إلى أنشطة اقتصادية[5] أخرى وفرتها الظروف الطبيعية كاستخراج الملح مثلا وجمع الصمغ وممارسة الصيد بشكليه البري والبحري، وكانت هنالك أنشطة مكملة وفرها الموقع الجغرافي للمنطقة من أهمها التجارة التي تمت بواسطتها تغطية العجز في بعض المواد الاستهلاكية التي لم يكن من الممكن الحصول على الاكتفاء الذاتي فيها بالصحراء بسبب ظروفها المناخية[6].

---

[1]-محمد الظريف، **التواصل الثقافي بين الغرب والسودان خلال القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين**، بحوث ندوة التي عقدتها بمناسبة مرور أربعة قرون ونصف على ولادته، مراكش 22-25 صفر1412هـ/ 2-5 سبتمبر 1991م، ص 60-65.

[2]- أحمد شلبي، مرجع سابق، ص 53.

[3]-ابن حوقل، مصدر سابق، ص99.

[4]- البكري، مصدر سابق، ص170.

[5]- أنظر الملحق رقم05 ص 68.

[6]-الناني ولد الحسين، مرجع سابق، ص36.

يبدوا أن الحواضر الصحراوية كانت مراكز للزراعة والتجارة، تغرس فيها البساتين والكروم وتزهر فيها الأسواق وكانت مناخ القوافل التجارية التي تعبر المفاوز، بهذا كانت منبثة في الواحات حيث تتوفر أسباب الحياة من ماء وعشب ونخيل وتتهيأ ظروف الاستقرار.

وكانت المدن الصحراوية والسودانية تختلف من حيث ما يتوفر في كل واحدة من خصائص ومميزات.

ولعل مدينة سجلماسة[1] كانت تحتل الرتبة الأولى من حيث الأهمية وسط بقية المدن الصحراوي العتيقة، فقد أشاد ابن حوقل، وأيده في ذلك غيره من الرحَالَاتْ الجغرافيين الذين أسهبوا في الحديث عنها وإبراز مزاياها العمرانية والفلاحية، فهي "(مدينة حسنة الموضع جليلة الأهل فاخرة العمل، على نهر يزيد في الصيف كزيادة النيل)"[2]، وأهلها مياسير "(ولنسائهم يد صناع في غزل الصوف، فهن يعلمن منه كل حسن عجيب بديع من الأرز تفوق القصب الذي بمصر)"[3].

ومدينة أودغست لا تكاد تقل أهمية عن سجلماسة إذ "(فيها مبان حسنة ومنازل رفيعة....)"، وبها أغراس متنوعة وجنان حناء ذات غلة كبيرة.....[4]، اذ نجد مدينة تادمكة المسلمة سميت بهذا الاسم لأنها "(أشبه بلاد الدنيا بمكة ...).

أما حواضر السودان الغربي فأهمها مدينة غانة التي هي معدن الذهب، وهي مبنية بالحجارة وخشب السنط وفيها قصور وحولها غابات محروسة[5]، ثم تأتي بعد هذه المدن من حيث الأهمية، مدينة تكدا "(وديارها مبنية بالحجارة الحمر وماؤها يجري على معادن النحاس فيتغير لونه وطعمه بذلك)"[6].

---

[1]–**سجلماسة:** شيدت مدينة سلماسة سنة 140 ه/575م من طرف حوارج مكناسة الصفرية في قلب واحة خصبة كانت عبارة عن مراعي يؤمنها عدد من الرحل لتبادل منتوجاتهم في اطار موسم تجاري سنوي، فأصبحت بسرعة فائقة مركز استقرار بشري وميناء نشيطا في تجارة الذهب. أنظر: لحسن تاوشيخت، **سجلماسة كمحطة للتواصل الحضاري بين ضفتي الصحراء**، "**أعمال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الافريقية على جانبي الصحراء**"، أيام 15-17 محرم 1428هـ الموافق 12-14(ماي-5) 1998م، افرنجي، تنظيم كلية آداب (تطوان-المغرب) وكلية الدعوة الاسلامية (طرابلس-الجماهيرية)، مراجعة وتقديم: عبد الحميد عبد الله المرّامة، ط1، طرابلس، ص225.

[2]–ابن حوقل، مصدر سابق، ص 90.

[3]–ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج3، تح: فريد عبدالعزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 217.

[4]– البكري، مصدر سابق، ص158.

[5]– نفسه ص 175.

[6]– ابن بطوطة، مصدر سابق، ص 704.

تمثل الزراعة الحرفة الرئيسية والمصدر الأساسي لعيش الغالبية العظمى من أهل البلاد وذلك لوجود معظم الأقاليم المأهولة بالسكان، وتتمركز الزراعة بشكل عام على جانبي نهر النيجر وقد أورد الحسن الوزان أن نهر النيجر يشق أرض السودان[1].

ويعتبر القطاع الزراعي هو أساس الاقتصاد لأهل الصحراء وغرب إفريقيا الأرز يزرع في أودية نهر نيجيريا وفي منطقة السنغال إذ توجد زراعة النخيل والذرة والقطن والفول السوداني والبطاطا والبن والكاكاو والسمسم، قصب السكر والموز والأخشاب والصمغ العربي والتمور كل هذه المواد الزراعية كانت تدخل في المبادلات التجارية مع التجار المغاربة وبدورهم كانوا يصدرونها إلى أوربا[2].

أصبحت تمبكتوا[3] الواقعة على ضفاف نهر السنغال الأعلى مركزا كبيرا لتجارة الذهب والنحاس وكان التجار يبيعون الملح المستخرج إلى كامل مناطق إفريقيا الغربية[4].

برزت الصناعة في جميع مراحل عملية "التصنيع- التسريح- الغزل – الصياغة – النسيج"، تتم محليا وقرب نهاية القرن السادس عشر كان يوجد في مدينة تمبكتوا عند الطرف الجنوبي للصحراء الكبرى ستة وعشرون خياطا وفي منتصف القرن التاسع عشر أصبحت كانوا (فيما هو الآن نيجريا الشمالية) ومن حيث التأثير إن لم يكن من حيث التنظيم، وقد وصف الرحالة الأوروبي الشهير بارث إنجازات المدينة.

هناك حقا شيء عظيم في هذا النوع من الصناعة التي انتشرت شمالا حتى غات بل حتى طرابلس وغربا ليس فقط إلى تمبكتوا[5].

---

[1]– الهادي المبروك الدالي، مرجع سابق، ص 267،268.

[2]–عمر أفا، **التجارة المغربية في القرن التاسع عشر (البنيات والتحولات)1830–1912م**، ط1، مكتبة دار الأمان، الرباط، 2006، ص296-308.

[3]–**تنبكت**: تأسست تنبكتو في بداية القرن الحادي عشر الميلادي، تقع بالقرب من الطرف الجنوبي للصحراء الكبرى على بعد ثلاثة عشر كيلومتر تقريبا من نهر النيجر اشتهرت تمبكتو بأنها ملتقى الابل والكنوز (زورق طويل خفيف) فيها كان يتم تبادل البضائع القادمة من شمالي افريقيا، أنظر: محمد قرقزان، **أحمد بابا علم النهضة الثقافية في غرب افريقيا**، (أحمد بابا التمبكتي، بحوث الندوة التي عقدتها ايسيسكوا بمناسبة مرور أربعة قرون ونصف على ولادته، 22-25 صفر الخير، 1412هـ/ 2-5سبتمبر 1991)، منشورات المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم الثقافة، ايسسكوا، 1414هـ/1993م، ص 129-132.

[4]–جون أفريك، مرجع سابق، ص175.

[5]–أ.ج هوبكنز، **التاريخ الاقتصادي لأفريقيا الغربية**، تق: محمد عبد الغني سعودي، تر: أحمد فؤاد بليع، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1998، ص50،51.

2- الجانب التجاري:

أثبتت المعلومات المختلفة التي ساقها الرحالون الأجانب، الذين عبروا الصحراء في القرن التاسع عشر بمعية القوافل، استمرار النشاط التجاري في المسالك الصحراوية معظم القرن التاسع عشر على الرغم من الأزمة التي بوادرها في القرن الثامن عشر، وقد تأكدت مشاهدات الرحالين بالدراسات الحديثة التي اعتمدت تحليل معطيات وثائق القنصليات الأوروبية في الموانئ التي كانت تنال نصيبا من هذه التجارة، كميناءي الصويرة وطرابلس، فمن هذه المعلومات متعددة المصادر تتضح معالم تجارة نشطة عبر المسالك التقليدية في شمال غرب إفريقيا والتجارة كانت تساهم ببضائع تدخل في نطاق التبادل التجاري مع أوربا من جهة، وتزود الأسواق المغربية ببضائع السودان التي كانت لا تزال تلقى رواجا واقبالا إلى غاية القرن التاسع عشر من جهة ثانية[1].

قبل الفترة السالفة الذكر، أسهمت منتجات الذهب والملح والنحاس والكولا بدور بالغ الأهمية في اقتصاد إفريقيا وخاصة الصحراء كانت تمتلك مناجم عديدة من الذهب مما جعلها أكبر منتج له في العالم[2].

بعد فتح الصحراء المغربية وبلاد السودان اتسع نطاق التجار بتنوع منتوجات الأقاليم المغربية والصحراوية السودانية، فأصبح هؤلاء التجار يتاجرون بمزروعات المغرب ومصنوعاته، وبملح الطعام ثم بذهب وتوابل السودان ورقيقه (وهكذا استفحلت الدولة اليوم لعهده الكريم وتفرقت التجارة)[3].

لقد أثر الوجود المغربي في السودان على نحو لا يقبل التأويل أو الشك في الأسس البنيوية للاقتصاد السوداني مما أدى إلى إحداث تغيير جذري في كمية ونوعية الإنتاج وفي التصنيع والتجارة، وفرض الضرائب عند أبواب المدن وأخذ الغرامات وتزايد إقبال التجار على نقل بضائعهم، فالأوضاع التي خلقها النزاع المستمر على مناجم الملح والذهب انعكست بشكل سلبي

---

[1]-محمد أعفيف، **توات مساهمة في دراسة مجتمعات الواحات وتاريخها**، ط1، أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2014، ص 125.

[2]-يحي بوعزيز، **تاريخ افريقيا الغربية الاسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين**، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2001، ص12.

[3]-القشتالي، **مناهل الصفاء في مآثر موالينا الشرفاء**، تح: عبد الكريم كريم، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط،1972، ص256.

على التواصل التجاري بين الجانبين، ومع اختفاء ذلك التراع نتجت عنه أن أخذت التجـــارة في الاتساع وبدأ الحديث عن القوافل التي تضم ألاف الجمال التي كانت تقطع الجهتين[1].

لا يمكن بحال من الأحوال الادعاء بأن المغاربة قبل القرن السادس عشر أو بعدهم اللـــذين ذللوا الحاجز الصحراوي بين الشمال والجنوب وسيروا القوافل فيما بين البحر الأبيض المتوســـط وبلاد السودان، فذلك قديم قدم الإنسان في هذا الجزء في إفريقيا وساهمت في الشعوب البيضاء في الشمال والشمال الشرقي والشعوب السوداء جنوب الصحراء معا[2].

[1]-محمد الغربي، **بداية الحكم المغربي في السودان الغربي**، ج1، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر، الكويت،(د.ت)، ص427،428.

[2]- نفسه، ص 430.

الفصل الثاني
القوافل التجارية

I ماهية القوافل التجارية وتنظيمها

1 مفهوم القافلة: (لغة اصطلاحا)

2 تنظيم القوافل التجارية

II شبكة الطرق التجارية

1 طرق القوافل عبر الصحراء الكبرى في بعض الرحالات العربية

2 المسالك التجارية

III أحواض التجارية الكبرى لتجارة القوافل

1 المراكز التجارية

2 الأسواق

3 البضاعة المتداولة

I ماهية القوافل التجارية وتنظيمها:

سنحاول في هذا المبحث التطرق الى تعريف القافلة اللغوي والاصطلاحي ثم الوقوف عند أسس تنظيمها لتأخذ بذلك صبغة تجارية و دينية (ركب الحجاج) وحتى علمية (رحلات العلماء).....

1- مفهوم القافلة: (لغة-اصطلاحا):

لغة: ورد تعريف للقافلة في لسان العرب على النحو الآتي:

يقال جاءهم القَفَل والقُفُول، واشتق اسم القافلة من ذلك لأنهم يقْفِلون، وقد جاء القفل بمعنى القُفُول(بالضم).

سميت القافلة قافلة، تفاؤلا بقفولها عن سفرها الذي ابتدأته، والناس يغلطون في تسميتهم الناهضين في سفر أنشؤوه قافلة، وأنها لا تسمى قافلة إلا منصرفة إلى وطنها، وهذا غلط.

ومازالت العرب تسمى الناهضين في ابتداء الأسفار قافلة تفاؤلا بأن يُيَسر الله لها "القُفُول" وهو شائع في كلام فصائحهم.

والقافلة: الرفقة الراجعة من السفر، والمقَفْل: مصدر قَفَلَ يَقْفُل إذ عاد من السفر والجمع هو القَفَل

وقال قد يقال للسفر قفول في الذهاب والمجيء وأكثر ما يستعمل في الرجوع[1].

ونستنتج مما سبق أن التعريف اللغوي للقافلة مقترن فقط بفعل الرجوع أو العودة إلى الديار.

اصطلاحا: فالمقصود بها القافلة التجارية، وهي تنظيم مسبق تقوم به جماعات أغلبها تجار فقد تختلف أصولهم ولكن هدفها اقتصادي هو الربح التجاري والمتاجرة بيعا وشراءا، هذه القافلة لها مكونات بشرية وحيوانية[2].

وتتكون من الرجال والنساء اضافة إلى قطعانهم من الماشية، والخيم والكلاب، وصراخ الأطفال، وأحاديث الرجال، وثغاء الخرفان، وصياح الديك، ومسيرة الجمال.....هذه هي مجمل صفاتها[3].

---

[1]- ابن منظور ، مصدر سابق، مج5، ص634.

[2]-Carratte (E) , Du **commerce de l'Algerie avec l'Afrique centrale et les états Barbaresques**, Paris, 1844, P164.

[3]-Dumas, **le Sahra organisation D'une Caravance**, Revue de l'onrient de l'Algérie et des Colonies¸T 15, Paris, 1854, p101.

من خلال الكتابات العربية والرحلات الأوروبية سنحاول التركيز على مفهوم القافلة التجارية، فنحن عندما نتصور القافلة ربما نتصور جمالا تتحرك، لكنها كما يقول Réné Caillie "مدينة آهلة تتحرك"، هذه المدينة المتحركة كانت تطرح عددا من المشاكل، فلها مشاكل عادية تتعلق بتسيير مجموعة من الناس يتحركون في مجال معين، كما لها مشاكل أمن وتنقل ومرور في وعبر مراكز لا تتحكم فيها أي خارجة عن النفوذ السياسي الذي انطلقت منه، فهذه القافلة تجمع بين أناس لا يشكلون وحدة متجانسة أحيانا ينتمون لقبائل في بينها...[1].

2- تنظيم القوافل التجارية:

يتمثل تنظيم القافلة بهيكلة على القائد ويليه دليل القافلة وفي أسفلها حرسها ومجموعة من المساعدين والأعوان إضافة إلى المسؤولين عن وسيلة النقل وهم أرباب الإبل وبالنسبة إلى الدليل عندما تنطلق القافلة بأموالها وحمولتها وأرواحها تضع نفسها رهن إشارة الدليل الذي يعتبر أهم شخصية في القافلة وعليه معرفته التامة بالطريق عبر أقطاره المتوالية...

قائد القافلة: من متطلبات القافلة في تنظيمها هو اختيار قائد لها يكون صاحب خبرة في تسييرها ومتمرس بأصول التجارة وعبور الصحاري، ويطلق عليه اسم شيخ القافلة[2]، فقد ذكر العياشي قوله (وقد قدمنا معنا بثلاثة من الخيل، واشتريت آخر بسجلماسة، وأعطيت أفضلها لأمير الركب)[3].

إذ يشترط فيه شروط منها الخبرة الكافية خاصة الطرق الصحراوية وفي تسيير قوافل تجارية لمرات عديدة.

الدليل: يأتي بالمرتبة الثانية ويطلق عليه اسم الخبير أو المرشد باعتباره سائق القافلة..

---

[1]- زهرة طموح، تنظيم القافلة خلال القرن 19م، كلية الأدب، الرباط، "**أعمال ندوة التجارة في علاقتها بالمجتمع والدولة عبر تاريخ المغرب** "، من 15 الى 17 رجب 1409هـ موافق 23/21 فبراير 1989م، برئاسة: عمر أفا، ، ج2، الجلسة الرابعة، عين الشق، الدار البيضاء، 1989، ص249.

[2]- يحي بوعزيز ، **طرق القوافل والأسواق التجارية كما وجدها الأوروبيون بالصحراء الكبرى خلال القرن التاسع عشر**، مجلة الثقافة، العدد 59، الجزائر، 1980، ص133.

[3]- العياشي، **الرحلة العياشية**، تح: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، مج1، دار السويدي للنشر والتوزيع، الامارات العربية، 2006، ص74.

تسير القافلة وفق نظام محكم، تقسم فيه الأدوار كل في مكانه وللدليل كانت لديه مجموعة من المساعدين لإدارة القافلة، وهذه الإدارة كانت تشمل جوانب متعددة منها الجانب الديني والتوثيقي...الخ.

نجد في المقدمة الموثقين أو (**العدول**) وغيرهم، ومهمة هؤلاء تسجيل المعاملات التي تتم بين المسافرين مثل المعاملات التجارية وتسجيل الأحداث التي تشهدها القافلة و بتوثيق تركة المتوفين والمختفين، وهكذا نخلص أن للقافلة تقاليد كتابية، وإضافة إلى ذلك نجد **المخبرون** الذين كانت مهمتهم الخروج قبل القافلة لتقصي الظروف الطبيعية والانسانية للطريق الذي تسلكه القافلة، وبما أن القافلة إسلامية فقد كان يرافقها **إمام ومؤذن** حتى يتمكن المسلمون من أداء شعائرهم الدينية بشكل جماعي، اضافة إلى ذلك فئة **الحراس**.

هذه البنية غير ميكانيكية، بل تختلف حسب العصور والمناطق.....الخ، لكن الذي نريد أن نخلص إليه أن القافلة كانت تخضع لتنظيم عملي بل انه حتى داخل هذه القوافل الصغرى هناك مجموعات تتكون من خمسة عشر أو عشرة أشخاص...الخ، تلتف حول مصالح عائلية أو تجارية فهذه المجموعات هي التي تكون الخلية الأساسية للقافلة[1].

لقد كانت الوسيلة الأساسية والرئيسية للسفر ولبلوغ الهدف تتمثل أساسا في الحيوانات بمختلف أنواعها من خيل وبغال وابل، وحتى مشيا على الأقدام وفيما يخص هذه الحيوانات فهناك من كانت ملك له والبعض الآخر يكتريها[2]، معتمدة هذه القوافل على الجمال كوسيلة أساسية للنقل والتي ساهمت مساهمة عظيمة في التجارة خاصة الصحراوية نظرا لمؤهلات التي ميزها الله إياها (من جفون وأرجل طويلة ذات أخف مشقوقة وأنف واسع، وقدرة تحمل على العطش)[3].

ومما سبق نستنتج أن القوافل احتوت على مكونات بشرية تقاسمت الأدوار فيما بينها حسب خصائص ووظيفة كل واحد منها، وهذا دلالة على وجود نظام مسبق تسير به القوافل قبل انطلاقها، إضافة إلى اعتمادها على مجموعة من التجار.

كانت القوافل التجارية تختلف من حيث الحجم عبر فترات زمنية متعاقبة، فإذا أخذنا محور دراستنا بداية القرن التاسع عشر ميلادي تحدثنا المصادر عن أربعة آلاف من الجمال وعن مائة من

---

[1]- زهرة طموح ، "**أعمال ندوة التجارة.....**"، مرجع سابق، ص 298،299.

[2]- مختار بن الطاهر فيلالي، **رحلة الورثيلاني "عرض ودراسة"**، دار الشهاب، الجزائر، 1995، ص87.

[3]- محمد موسى فيصل، **موجز تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**، منشورات الجامعة المفتوحة، بنغازي، 1997، ص50.

السائقين أو المرافقين وفي نهاية القرن خصوصا بعد سقوط مدينة تمبكتوا 1895م، تحدثنا المصادر عن ستمائة إلى ألف جمل، فالسمة الأساسية للتجارة القوافلية أنها كانت تتراجع من بداية إلى نهاية القرن نظرا لعدة عوامل منها الخارجي ومنها المرتبط بالظروف المناخية والمجاعات والأمن.....الخ.

إذن فعملية التجارة عبر مسيرة القوافل تطرح مشاكل متعددة، فبالإضافة إلى تلك المرتبطة بطول الرحلة التي تستمر عادة ثلاثة أشهر ذهابا وثلاثة أشهر إيابا حسب الظروف ومشكل الماء فهناك مشاكل مرتبطة بالعامل الانساني، كما أسلفنا قوله حول أناس ينتمون الى قبائل مختلفة وفئات متعددة...، والذي يوحد هذه المجموعة من الناس هدف واحد هو أن تصل القافلة إلى وجهتها[1].

ومنطلق دراستنا أن القافلة هي الوسيلة الوحيدة لربط طرفي الصحراء، وفي وقت معين من السنة هناك القافلة الكبرى التي تربط مناطق جنوب المغرب أو جنوب الأطلس ببلاد السودان، من ثلاثة أشهر ذهابا وثلاثة إيابا مرة واحدة في السنة، وهنا قوافل استثنائية، كما أن هناك أشخاصا يقومون بالرحلة خارج القافلة، وفي فترة معينة تتحرك مجموعة من القوافل الصغيرة لتتجمع في منطقة تشكل منطلق القافلة الكبرى ومرتبط بالطرق والمسالك التي تتخذها وبأهمية حواضر ومراكز تجارتها وهذا هو التالي في دراستنا.

II شبكة الطرق التجارية:

1- طرق القوافل عبر الصحراء الكبرى في بعض الرحالات العربية و الأوروبية:

لعبت الطرق التجارية العابرة للصحراء الكبرى أدوارا كبيرة ومهمة في تاريخ المنطقتين الواقعتين على طرفيها الشمالي والجنوبي، فقد تم عبرها التبادل التجاري منذ أقدم العصور ومع نشاط الحركة التجارية اتصلت إفريقيا جنوبي الصحراء بحضارات العالم القديم المطلة على البحر الأبيض المتوسط.

ومنذ الألف الأخيرة قبل الميلاد خرج نطاق التبادل التجاري من محيطه الداخلي في إفريقيا إلى حوض البحر الأبيض المتوسط الذي ساهم فيه الفينيقيون واليونان والرومان وقد خلف لنا هؤلاء كثيرا من المعلومات التي تعتبر من أقدم المصادر عن مسالك الصحراء والشعوب الصحراء

[1]- زهرة طموح،" **أعمال ندوة التجارة**..... "، مرجع سابق، ص 294.

القاطنة فيها ووراءها والى جانب ذلك فهنالك بعض المصادر المحلية الهامة عن الطرق الصحراوية وهي عبارة عن النقوش والرسومات التي خلفتها الشعوب الصحراوية في فترات تاريخية متتالية[1].

وقد نمت دراسة الكثير في تلك الآثار فساعدت إلى حد كبير في تتبع طرق الصحراء وارتباطها القديم بالمراكز والشعوب الإفريقية على حوض نهري السنغال والنيجر، وغير أن العصر الذهبي لهذه الطرق في إفريقيا جنوب الصحراء يبدأ بدخول الإسلام في شمال إفريقيا، حيث استقر المسلمون في المغرب العربي وكثفوا اتصالاتهم بجنوب الصحراء ما بين بحيرة تشاد شرقا والمحيط الأطلسي غربا، وتعتبر من المصادر الأساسية لدراسة الطرق المؤدية إليها وعلاقاتها بالمغرب العربي وحوض البحر الأبيض المتوسط وقد تضمنت تلك المعلومات الأنشطة الاقتصادية والثقافية والعلاقات الاجتماعية لسكان المنطقة ومن هذه المصادر **اليعقوبي** استفاد هذا الأخير من تجواله في شمال إفريقيا وبخاصة في الدول الرسمية التي كانت تسيطر على أغلب محاط الطرق الواقعة شمالي الصحراء، فجمع بذلك معلومات قيمة ضمنها كتابه (البلدان)، ويعتبر اليعقوبي أول جغرافي عربي مدنا بمعلومات مباشرة عن الطرق الصحراوية، فأشار الى طريق الذهب من سجلماسة الى مملكة غانة عبر المنطقة الغربية من الصحراء الكبرى، تناول أيضا الطريق الشرقي من فزان عبر كوار جنوبا إلى حوض بحيرة، ومن خلال كتابه عن الممالك الافريقية جنوبي الصحراء، فتحدث عن غانة واتساعها وجعل مملكة كانم ومملكة مالي ومملكة كوكو من أعظم ممالك السودان في ذلك العهد[2].

يعتبر **ابن حوقل** من أشهر مؤلفي القرن الرابع الهجري الذي تناولوا مسالك الصحراء، فترك لنا معلومات غنية في كتابه (صورة الأرض) الذي جمع مادته من إفريقيا أثناء تجواله واشتغاله بالتجارة، وقد وقف ابن حوقل على أحوال المنطقة وجاءت معلوماته دقيقة عن الجزء الغربي من الصحراء الكبرى من خلال وصفه أن النشاط التجاري ربط المنطقة كلها ربطا تاما ما بين سجلماسة وأدغست غربا حتى زويلة شرقا وبين ارتباط سلع المنطقة تجارة حوض الأبيض المتوسط.

كما تعرض **البكري** بتفصيل دقيق للصحراء المغربية وغرب إفريقيا فتناول الطرق بمراحلها وأماكن وجود المياه والمخاطر التي تواجه القوافل وأورد تفاصيل وافية عن دور المراكز التجارية في

---

[1]- أحمد الياس حسين، **طرق القوافل عبر الصحراء والممالك الافريقية جنوبي الصحراء الكبرى في المصادر العربية** ، مجلة دراسات افريقية، مركز البحوث والدراسات الافريقية، جامعة افريقيا، العدد الثاني، ص107.

[2]- ابراهيم محمد أحمد بلولة، **الهجرات والقوافل التجارية عبر الصحراء الكبرى وأثرها في نشر الاسلام وحضارة الاسلامية**، دراسات دعوية، فبراير2005، العدد09، ص70.

النشاط التجاري، إضافة إلى ما ذكره **ياقوت الحموي** الذي أورد معلومات كثيرة عن الطرق الصحراوية ومحطات التجارة والسلع، ونجد أعظم رحالة **ابن بطوطة**[1] الذي أورد العديد من المحطات والطرق التي سلكها في رحلته إلى غرب إفريقيا.

وقد تناول **ابن خلدون** في القسم الجغرافي من كتابه "العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" الذي تحدث عن حركة القوافل التجارية عبر الصحراء الكبرى وركز ابن خلدون على قبائل الملثمون واستقرارهم في الجزء الغربي من الصحراء الكبرى، واضافة الى العديد من الجغرافيين العرب الذين أسهموا في تفصيل تلك الطرق الصحراوية[2].

2- المسالك التجارية:

تجارة الصحراء الكبرى والمحيط الأطلسي لم تكن معروفة جيدا للعالم الخارجي قبل القرن التاسع عشر وكان مصدر المعلومات عن الداخل زيارات بين الحين والآخر قام بها رحالة مثل: ابن بطوطة للمناطق الاستوائية، ويفترض بأن القارة الإفريقية، كانت معزولة عن الاتصالات الخارجية فهذا الافتراض غير دقيق من الناحية التاريخية والحقيقية أنه كانت لإفريقيا الغربية صلات تجارية خارجية وطيدة الأركان وعالية التنظيم عبر الصحراء الكبرى والمحيط الأطلسي وهذه الطرق رغم خطورتها كانت تربط المنطقة بالاقتصاد الدولي قبل أن تسمح الثورة الصناعية للدول الأوروبية الرئيسية لزيادة تغلغلها في العالم المتخلف بقرون عديدة[3].

وتماشيا والمراحل التاريخية تعتبر العلاقات الاقتصادية بين المغرب والسودان وكل حواضر الصحراء أقوى الروابط في تاريخ الاتصال بين هذين الإقليمين، وتعد المسالك التجارية أهم وسيلة لهذا الاتصال، وقد نتطرق في هذا الجزء إلى عنصر الحياة التجارية وهي عديدة كانت تربط بين شمال إفريقيا وجنوبها وغربها عموما.

وبالنسبة للطرق التجارية الرابطة لتجارة القوافل هناك محوران:

---

[1]- أنظر الملحق رقم 06 ص69.

[2]- ابراهيم محمد أحمد بلولة، المرجع السابق، ص75 .

[3]- أ-ج هوبكنز، مرجع سابق، ص155.

المحور الغربي: ويضم طريقين، الطريق الذي يربط ين كلميم وشنقيط ومنها يتفرع سواء للوصول إلى تنبكتوا أو للترول أكثر غرب إفريقيا، والطريق الأخرى يمر بتاوديني (بنغازي فيما بعد) ليصل إلى مدينة تامبوكتوا.

المحور الشرقي: الذي ينطلق من توات الى بلاد السودان عبر طريقين توات- تامبوكتوا وتوات[1] وهاوسة[2].

طريق **الواحات** وهو يتوغل في أعماق الصحراء ليمر بتوات[3] وهذا من أجل تبديل العملة هناك لرخص الذهب فيها فقد ذكر العياشي"(سبب اقامتنا في هذه البلاد في هذه المدة أن كثيرا من الحجاج لما غلا صرف الذهب في تافيلالت أخروا الصرف الى توات، فان الذهب فيها أرخص وكذلك سعر القوت من الزرع والتمر)"[4]، لأن توات تعتبر محطة تلاقي لتجار الشمال مع الجنوب[5]، فهي نقطة أساسية تعبرها القوافل التجارية والدينية، كما تميزت به من أسواق حتى أصبحت تجذب أيضا جميع القوافل المارة داخل اقليمها[6] وفيما يخص مراحل هذا الطريق قد سجلها لنا العياشي في رحلته بشكل وافي.

---

[1]– **هاوسة**: تقع هاوسا بسهولها الخصبة بين بورنوا وسنغاي في حوض النيجر الأعلى وكانت تحت نفوذ جيرانها من الممالك الكبيرة في بعض الأحيان إلا أنه لم ينجح أي منها في ضم إقليم هوسا نهائيا، والهاوسا ليسوا قبيلة واحدة، ولكنهم مزيج تكون عبر القرون من أصول عرقية مختلفة، وهم قوم يحبون الارتحال من مكان لآخر، ويحترفون التجارة أيضا وكانت مراكز التجارة حيث تقع على طرق القوافل الرئيسية مع شمال إفريقيا، وفي نهاية القرن السادس عشر تحول طريق التجارة شرقا الى اقليم الهاوسا حيث أصبحت أهم مركز تجاري ثقافي وبقي تجار الهاوسا يسيطرون عليها في أنحاء السودان الأوسط، وأصبحت لغة الهاوسا لغة المعاملات التجارية، أنظر: محمد أمين أبه الأبقاري، **نشأة الممالك**، قسم التاريخ والجغرافيا بالمعهد العالي للعلوم التربوية، أنجمينا، تشاد، ص5.

[2]– زهرة طموح ، **أعمال ندوة التجارة**.....، مرجع سابق، ص 300.

تحتوي هذه المنطقة على أكثر من عشر واحات

[3]-Carrete, **recherches sur la géographie et commerce de l'algérie méridienale**, paris, 1840, p102 .

[4]– العياشي، **لقط الفرائد من ماء الموائد**، مختصر الرحلة العياشية1661-1663م، اعداد سليمان القرشي، دار التوحيدي، المغرب الأقصى، 2012، ص22.

[5]– عمار بن خروف، **العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب في 10هـ/16م**، ج2، دار الأمل، الجزائر،2000 ، ص69 .

[6]– فرج محمود فرج، مرجع سابق، ص69.

وبخصوص علاقة المغرب بالبلدان الافريقية فقد وجدت شبكات طرقية قديمة كان أشهرها شبكة افريقيا المعروفة في العهدين المرابطي والموحدي ولكن أكثرها اشتهارا شبكات الطريق المعروفة في القرن السادس عشر على العهد السعدي.

المحور **الأول**: يسير من سجلماسة نحو توات ومنطقة كورارة نحو عين زيكرا ثم الى كاو، وثم الى ساحل الذهب وأما بالنسبة **للثاني**: يسير فيه التجار ذهابا وإيابا من مراكش الى لكتاوة ثم الى تاغزا، ثم الى تاودني ونحو تنبكتوا وأما عن الطريق **الثالث**: من مراكش نحو أكاير وتنطلق القوافل من واد نول (كلميم) ذهابا وإيابا نحو تاكاوست، ثم إلى ودان ومنها الى مركز ولاته، ومنها الى ساحل الذهب.

كل هذه الشبكة الطرقية تخترق الجبال والأودية والصحاري، ثم تخترق حوض نهر النيجر لتصل بين المغرب، وهذه الجهات عن طريق القوافل التجارية بواسطة الجمال التي تنقل السلع[1].

ويبدوا أنه مع مرور الزمن وقع إهمال المحورين الأولين لأسباب تجارية بينما نشط المحور الثالث، وكان أحمد المنصور الذهبي قد أعاد للمحور الرابع نشاطه، فأصبح في القرن السادس عشر أهم المسالك الصحراوية من مراكش نحو السودان، والذي كان يدعى الطريق النظامي والمخزني وعليه كانت تمر القوافل التجارية، وقد استمر إلى القرن التاسع عشر باسم المحور الغربي.

فنجد **المحور الشرقي**: ويدعى طريق الذهب، ينطلق من تافيلالت عبر توات ويتجه نحو تنبكتوا بمالي، ثم إلى نهر النيجر، وهي الطريق التقليدية التي يستورد فيها الذهب وغيره من السلع إلى المغرب.

المحور الغربي: ويدعى طريق الملح، وينطلق من واد نون جنوب سوس ويتجه نحو ودان وتشيت جنوب شنقيط (موريتانيا)، حيث تتزود القوافل بالملح فتسير نحو نهر السينغال يقع تبادل الملح بالذهب والعبيد وريش النعام، وتستغرق الرحلة قرابة شهرين.

ولما داهم التدخل الأجنبي ربوع إفريقيا وتمت سيطرته التجارية عن طريق شركات خاصة حول تجارة القوافل من على المحورين الشرقي الغربي إلى سواحل القارة الإفريقية، وبالخصوص إلى شواطئ غينيا وساحل السنغال فتحولت عموما من البر والبحر[2].

[1]- عمر أفا، مرجع سابق، ص297.

[2]- عمر أفا، المرجع السابق، ص 313.

لقد اخترقت قوافل التجار الصحراء الكبرى من عدة مواقع على ما ذكر صاحب الإستبصار (كان يحمل إلى السودان من سوس والشب الأبيض والملح، الذي كان ينقل من الجنوب إلى الشمال، وجلود بعض الحيوانات النادرة وكانت تصل إلى الأندلس)[1].

كما أن المستكشفين الأوروبيين انتشروا في المنطقة وخاصة في القرن التاسع عشر.

وبالنسبة لمن توغلوا منهم في الصحراء الكبرى ومنطقة الساحل وغرب افريقي، فنذكر بالخصوص المستكشف الفرنسي رُنِي كايي الذي كان أول أوروبي زار تمبكتوا في العصور الحديثة، وكان ذلك في بدايات القرن التاسع عشر وزار مدن جانت وغات وكتب عن الطوارق كتابه "طوارق الشمال"، كما نذكر الرحالة الألماني الشهير هنري بارث والذي كان في خدمة انجلترا، فزار طرابلس وسافر منها عبر الصحراء الكبرى فزار مدينة "أكَدَّز " شمال النيجر كما زار بعض المدن الكبرى في شمال نيجيريا الحديثة ثم زار شمال مالي الحالية أي مناطق كَوكَو وتمبكتوا.

وقد سجل بارث في هذه الرحلة معلومات عن الصحراء وغرب افريقيا وهي حتى اليوم مثل في الدقة العلمية والصحة في أغلبها[2].

هذا وخلال الربع الأول من القرن العشرين ميلادي كان الاستعمار الفرنسي والانجليزي والايطالي والاسباني قد استولى على مجموع مناطق التي تعني بحثنا.

وعن الطرق التجارية يقول "**بارث**"[3]:(....كانت التجارة الخارجية خاصة ثلاث طرق عظيمة أولها: الطريق المحاذي للنهر من الجنوب الغربي والذي تحمل فيه التجارة المجلوبة من عدة مناطق، وطريقان آخران من الشمال، أحدهما من المغرب والآخر من غدامس....).

ويدل ذلك على قوة التجارة بين بلاد المغرب العربي وبلاد السودان الغربي، وتطور أساليبها نظرا لأهمية هذه الطرق ويرى المؤرخ الفرنسي "**بوفيل**":(أن أهم هذه الطرق هو الطريق الممتد من تغازة الى تنبكت، وهو الطريق الذي اشتهر بحجارة الذهب، واستمر في دوره في مجال الثقافة حتى القرن التاسع عشر، وكان خراب سجلماسة في السنين الأخيرة القرن السادس عشر والسابع عشر للميلاد، وقد حرم هذا الطريق من ثغوره التاريخية في افريقيا الشمالية، ولكن أغلب التجار تركوا تافيلالت واتجه بعضهم الى عين صالح عاصمة توات، وقد سافر التجار الى عكا التي ورثت أعمال

---

[1] الناصري، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، مج:2، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، الدار البيضاء، 1954، ص2.

[2] محمد أحمد، **التواصل الحضاري العريق بين المناطق الافريقية الواقعة شمال الصحراء الكبرى وجنوبها**، (ندوة التواصل)، مرجع سابق، ص168.

[3]- أنظر الملحق رقم 07 ص 70.

سجلماسة وعلى طول الطريق القديم عبر تغازة وتاوديني الى تنبكت فبدلا من الاتجاه غربا الى تاوديني وتتبع طريق الخط المباشر عبر ودان)، وأصبحت مدينة كانوا هي المركز الرئيسي، والذي تنتهي عنده الطرق التجارية بدلا مدينة تنبكت[1].

حيث كانت تلك القوافل تحمل البضائع المختلفة الى الجنوب، وتعود محملة ببضائع أخرى، وعادة ما كان العلماء يصحبون قوافل التجار في رحلتهم عبر الصحراء ومن المفاهيم الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وكذا الدينية منها سنلقي عليها الضوء في الجزء الأخير من الأطروحة.

III الحواضر التجارية الكبرى لتجارة القوافل:

بدأ قيام المراكز التجارية على أطراف الصحراء، في أماكن الاستقرار الاجتماعي[2] حول الواحات والوديان، وتم التبادل التجاري بصورة نشطة في أول الأمر بين السكان المستقرين على أطراف الصحراء، والبدو المتجولين لسد متطلباتهم ونظرا للتباين الواضح بين إنتاج المنطقة الصحراوية والأقاليم المحيطة بها، فاتسع نطاق هذا التبادل عندما تم عبور الصحراء بصورة منتظمة...

ونظرا لعدم حصر جميع هذه المحطات سنكتفي فقط بأخذ نماذج عن المراكز التجارية المهيمنة على نشاط التجارة في تلك الفترة.

1- المراكز التجارية:

- **سجلماسة:**

قد لعبت هذه المدينة **تافيلالت**(سجلماسة قديما) بفضل موقعها الجغرافي على باب الصحراء الكبرى دورا كبيرا أهلها لأن تشرف على المبادلات التجارية وفي جميع الاتجاهات خاصة التجارة الصحراوية بعد أن عرفت موانئ المغرب تراجعا كبيرا بسبب عمليات القرصنة في عرض البحر المتوسط القرن السابع عشر والثامن عشر ميلادي، وهذا ما أكدته مختلف المصادر المعاصرة للحدث.

---

[1]-الأمين عوض الله الشيخ، **تجارة القوافل بين المغرب والسودان الغربي وآثارها الحضارية حتى القرن السادس عشر الميلادي**، ندوة حول (تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر)، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم معهد البحوث والدراسات العربية، 1404هـ/1984م، بغداد، ص78،79.

[2]- أنظر الملحق رقم 08 ص 71.

كما أكد البعض أن جل الثلث الأول من القرن 17م عرفت فيه بلاد المغرب حالة من الفوضى، إذ كانت الأوضاع أمام الشواطئ البحرية المغربية غير مستقرة ولا آمنة، فالمراكب تغدوا وتروح مترصدة، والقرصان يهجمون على سفن أعدائهم فيأخذون ما يأخذون فيها من سلع، واسترقاق للأحرار[1].

كل هذه العوامل أدت إلى عدول البعض عن التجارة البحرية الى البرية وقد ذاع صيت تافيلالت في هذا المجال إذ لعبت دورا متميزا في خدمة التجارة واستقبال القوافل أو تسيرها سواءا من المغرب أو إليه فكانت بذلك قاعدة لانطلاق القوافل منها إلى تيهرت، ورقلة، تونس، القيروان[2].

فقد ورد في الرحلة الحجازية للحضيكي:"(ونزلنا بعد يومين من سجلماسة ذات قرى كثيرة، وأسواق ومياه ونخيل وفواكه، ومزارع وأقمنا فيه نحو خمسة عشر يوما ننتظر خروج أهلها، وأمير الركب منه يخرج...فاشترى الناس ابلهم، وأزوادهم وما احتاجوا اليه في طريقهم الى طرابلس[3].

والى جانب ذلك نجد **درعة** كمركز تجاري تقع شرقي مدينة سجلماسة بنحو سبع مراحل، ويمتد واديها على مسافة كبيرة جنوب المغرب الأقصى، بلد زراعي بها معادن كانت مركزا تجاريا هاما، ومحطة على أول الصحراء كثيرة في الأسواق والمتاجر[4].

- **تمبكتوا:**

اشتهرت تمبكتوا بأنها ملتقى الإبل (زورق طويل خفيف) وللكنوز، ففيها كان يتم تبادل البضائع القادمة من شمالي إفريقيا بمنتجات غابات ومراعي غربي افريقيا، وكانت قوافل الإبل القادمة من شمالي افريقيا تحمل الملح والقماش والصوف والنحاس الأصفر الذي كان يستخدم كنقود وكذا التمور والتين والصناعات المعدنية الى تمبكتوا وتعامل تجار تمبكتوا في العاج وجوز الكولا والرقيق وجميعها من الجنوب.

---

[1]- رشيد حفيان، **الطرق والقوافل التجارية بين الحواضر المغاربية وأثرها الحضاري في العهد العثماني خلال القرنين 11-12هـ/17-18م**، مذكرة لنيل شهادة الماجيستر في التاريخ الحديث والمعاصر، اشراف: حليفة حماش، تخصص: العلاقات الاقتصادية والثقافية بين الجزائر العثمانية ودول المغرب الكبير، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية، 2013-2014، ص32،33.

[2]- مبروك الدالي، مرجع سابق، ص302.

[3]- الحُضَيْكي، **الرحلة الحجازية**، ضبط وتعليق: عبد العالي لمدبر، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، 2011، ص80.

[4]- البكري، المصدر السابق، ج2، ص845-846.

كانت تمبكتوا خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين حاضرة من حواضر الثقافة الاسلامية، وخرج منها الكثير من العلماء والمؤرخين، مثل أبي العباس التنبكي، ومحمود كعت التنبكتي.

تعرضت تمبكتوا للهجوم بسبب موقعها، وتغيرت القوى المسيطرة عليها مرات عديدة فقد سيطرت عليها امبراطورية مالي وسنغي والمغرب، ومنذ القرن السابع عشر قلت أهميتها[1].

كانت تنبكت مركزا تجاريا في عهد سلطتي مالي وسنغي غير أنها ازدهرت في عهد سلطنة سنغي، واكتسبت أهميتها من موقعها الممتاز في منحنى فهي النيجر فأصبحت أقرب محطة للقوافل التجارية القادمة من المغرب، كما أن موقعها على النيجر فأصبحت حلقة اتصال بين تجارة المغرب وتجارة السودان[2].

وجاء ازدهارها من تجارة المرور ولاسيما تجارة الملح والذهب، وكانت تقوم بعرض منتجات السودان الداخلية وذكر الحسن الوزان أن بها دكاكين كثيرة لصناعة وتجارة الأقمشة النيلية والقطنية كما ويجلب اليها التجار المغاربة الأقمشة من أوربا وقد زارها الحسن الوزان في أوائل القرن السادس عشر الميلادي[3].

ظهرت **ولاته** كمركز تجاري، جنوب الصحراء بعد سقوط مدينة غانة وقيام مملكة مالي، التي ظمتها الى حدودها اتجهت اليها القوافل عبر المنطقة العربية من الصحراء الكبرى[4].

مما سبق يبرز لنا مدى قيمة هذا المركز اقتصاديا بربطه شمال وجنوب الصحراء اضافة الى مدينتي **جني** و**تكدا** بحكم موقعهما بالجنوب الغربي من حاضرة تنبكت تعتبران من موطنا الذهب والنحاس والملح، بحيث تحولت قوافل التجارة اليهما والى جانب ذلك أصبحت الأسواق تعج بالتجار.

---

[1]- بوترعة علي، **القوافل التجارية ودورها في العلاقات الحضارية بين بلاد المغرب العربي ومنطقة السودان جنوب الصحراء خلال القرنين (الثامن عشر والتاسع عشر)**، مذكرة لنيل شهادة الماجيستر في التاريخ، اشراف: بوصفصاف عبد الكريم، تخصص: التاريخ الافريقي الحديث والمعاصر، الجامعة الافريقية العقيد أحمد دراية- أدرار، 2009-2010، ص 39 ،40.

[2]- الشيخ الأمين العوض، مرجع سابق، ص72.

[3]- الحسن الوزان، مصدر سابق، ج2، ص 165 ،166.

[4]- الهادي مبروك الدالي، مرجع سابق، ص306.

- **توات:**

أشار ابن خلدون إلى محطة توات قائلا:"(فمنها على ثلاث مراحل قبله سجلماسة وتسمى وطن توات، وفيه قصور متعددة تناهز المئتين، آخذه من الغرب الى الشرق، يسمى تمنطيت، وهو بلد مستبحر في السودان لهذا العهد)"[1].

احتلت بعض القصور بتوات الصدارة دون غيرها في التبادل التجاري وخدمة قوافل التجار والحجاج مثل قصور تيميمون (كورارة) وأدغاغ (من مجموعة تيمي بواحة توات، مدينة أدرار حاليا وقصور تمنطيت (واحة توات) وقصور أقبلي وعين صالح (تيديكلت) كانت هذه القصور الكبرى بتوات هي التي تستقبل قوافل التجار ففي رحباتها[2] تتم المبادلات التجارية وتسويق البضائع المستوردة حيث يقصدها سكان القصور المجاورة قصد التبضع والمتاجرون منهم قصد التزود أو بيع سلعهم[3].

استمرت توات في القرن التاسع عشر محافظة على علاقات تجارية متعددة الأطراف اذ كانت على اتصال بطرابلس وتونس وفجيج وتافيلالت وتومبكتوا تقصدها وتنطلق منها أو تتوقف بها أعداد من القوافل التجارية المحلمة ببضائع مختلفة متعددة المصدر والنوع وهذا اضافة إلى قبائل الرحل التي كانت تقصد توات في موسم التمر للتزود بحاجياتها منها ومن البضائع الأخرى، خاصة قبائل التوارك التي كانت سوقها الرئيسي[4].

كان اليهود المحرك الأساسي لتجارة توات، كانوا أغنياء ولهم علاقة بالسودان الغربي باعتبارها مركزا تجاريا تعبره القوافل المارة من الشمال الى الجنوب[5]وقد مارس اليهود إلى جانب التجارة صناعة الحلي وسك النقود، ولعبوا أدوارا مهمة كوسطاء في التجارة إذ كانوا على اتصال

---

[1]- بن خلدون، مصدر سابق، ص233.

[2]- **الرحبة:** هي التسمية التي تطلق على الباحة الكبرى بعد مدخل القصر والتي كانت تتم فيها المبادلات التجارية والتجمعات ولا يزال مصطلح الرحبة يطلق على الأسواق الخاصة بتجارة الحبوب (رحبة الزرع) في المدن المغربية، أنظر: محمد أعفيف، مرجع سابق، ص125.

[3]- نفسه ص 120،121.

[4]- نفسه ص118.

[5]- عبد القادر زبادي، **محمد بن عبد الكريم المغيلي**، مجلة الأصالة، السنة الرابعة، العدد26، الجزائر، 1975، ص211.

بكبار أرباب التجارة وأرباب السفن والشركات الأوروبية، التي كانت تتعامل مع المغرب الأقصى وخاصة أبناء ملتهم المقيمين بأوروبا[1].

- **غدامس:**

تعتبر هذه المحطة مركز تجاري ونقطة هامة في مسار القوافل التجارية ومنها يتم تفرع العديد من الطرق باتجاه الجزائر وتونس وصولا إلى المغرب الأقصى.

فقد جعلها موقعها الاستيراتيجي نقطة عبور ومحطة رئيسية يتوقف عندها المسافرون من تجار القوافل حتى أطلق عليها اسم بوابة الصحراء فكانت بذلك حلقة وصل بين الأقطار المغاربية وبلاد السودان[2].

فهي تقع بالجنوب الغربي من مدينة طرابلس وتبعد عنها بحوالي 300كلم، ضمن نطاق ليبيا وبالقرب من الحدود التونسية الجزائرية حتى أصبحت محطة مهمة في بداية الطريق إلى جهات ومراكز مختلفة اضافة إلى كونها مركز وسوق كبيرة اشتهرت بمنتجات كثيرة منها جلود المنسبة اليها (الجلود الغدامسية)[3].

ومن أهم المراكز التجارية والحيوية نجد **قابس** بفضل موقعها الاستيراتيجي اذ كانت تمثل محطة لجموع القوافل التي تمر ببلاد الجريد عبر وجهات مختلفة أو قوافل الحجيج المتجهة نحو المشرق، وقد تواصل دور هذه في خدمة تجارة القوافل حتى القرن 20م[4].

وفي هذا النطاق نجد **فزان** يصفها الحسن الوزان على أنها منطقة كبيرة تقوم فيها قصور وقرى كبيرة سكنها الأغنياء، فهي مركز تجاري مهم بين الشمال والجنوب وكانت تقدم خدمات للقوافل التجارية[5].

دخلت سلع منطقتي حوض البحر المتوسط والسفانا، جنوبي الصحراء في الميدان التجاري فازدادت الحركة التجارية في المحطات الواقعة على حوافي الصحراء الشمالية والجنوبية وتغيرت طبيعة فيها، وقد شعت هذه المراكز بعض الجماعات السكانية من المناطق المجاورة على الاستقرار

---

[1]- محمد حجي، **الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين**، منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1977م/1324هـ، ص 268.

[2]- عوض الله الأمين، مرجع سابق، ص80،81.

[3]- الهادي المبروك الدالي، مرجع سابق، ص297.

[4]- رشيد حفيان، مرجع سابق، ص 37.

[5]- الهادي المبروك الدالي، مرجع سابق، ص296،299.

فيها لتوفر فرص الكسب وممارسة الحياة الجديدة متمثلة في الحرف اليدوية البيسطة، التي يتطلبها استقبال القوافل التجارية، والعمل على راحة المسافرين واستغلت أعداد معتبرة من السكان هذه المراكز التجارية الداخلية و الخارجية فكان التجار في الداخل يقومون بمهمة جمع السلع من مختلف مناطق السودان الغربي في المراكز الجنوبية حيث تصلها القوافل[1].

لقد تنافست الدول التي تأسست على جانبي الصحراء، من أجل السيطرة على هذه المراكز واخضاع أو مصادقة بربر الصحراء الذين يمثلون الدعامة الكبرى لتحرك القوافل وحفظ الأمن داخلها كما عرفت المراكز التجارية ارتباطا وثيقا بالأمصار الكبرى، شمال الصحراء وجنوبها مثل الجزائر وموريتانيا، واتصلت بطرق التجارة العالمية البرية والبحرية مثل ايطاليا وفرنسا واسبانيا، فكانت صلات هذه المراكز التجارية بموانئ وسواحل البحر الأبيض المتوسط، المحيط الأطلسي، البحر الأحمر، والمحيط الهندي[2].

2- الأسواق:

تعتبر الأسواق من أهم النقاط المقصودة باعتبارها مجال فاسح للتبادل التجاري يتيح عملية البيع والشراء، فنجد أغلب المراكز التجارية والمدن التي تتوفر على الأسواق،و نقاط الراحة للقوافل كانت ما بين النقاط الموجهة والمرشدة والمساهمة في رسم شبكة الطرق بين البلدان المغربية والافريقية، وإذ كانت نفسها للانطلاق والرجوع وهذه المراكز محطات يتزود بها الحجاج والتجار، حين أننا نجد في بعض المدن أسماء تحمل اسم القوافل مثل ساحة القوافل.

أهم الأسواق التي كانت تقصدها القوافل التجارية عبر هذه الطرق الصحراوية المذكورة سالفا يتضح لكل باحث في دور هذه الطرق التي كانت تسلكها القوافل تتجمع في ثلاث أسواق هامة هي:

أولا: أسواق السودان الغربي وأهمها: سوق تمبكتوا الذي كانت لها أهمية خاصة واستقطب القوافل التجارية حقبة طويلة من الزمن في العصر الوسيط ومطلع الحديث، ومن أسواق قورارة، وسوق توات، وسوق عين صالح باقليم تيدكلت، وبين سوق تومبكتوا وأسواق بوقرارة وتوات

[1]- نقولا زيادة، **افريقيات (دراسات في المغرب العربي والسودان الغربي)**، ط1، رياض موريس للكتب والنشر، لندن، يناير، 1991، ص294،295.

[2]- الهادي مبروك الدالي، مرجع سابق، ص294،295 .

على طول الطريق توجد أسواق: أروان- وسوق مبروك وسوق ايفروان، تميساوي، وسوق أونان وتاوديني، وسوق ووالن، وبير تيرشومين وأكابلي[1].

ثانيا: أسواق تشاد والسودان الأوسط: ومن ضمنها: سوكوتوا، وقاندوا وكاتسنة، وتاقيليلي، وأقاديس، وكوكه في بورنوا، وأبشر في واداي، وماو، وأقاديم، وبيلما وتنتيولست، وبير عسيو، وجيادو، وين وتومو(كاوار)، وقد كانت توجد الى الشمال من هذه الأسواق أسواق فزان، وأسواق واحات الكفرة بليبيا.

ثالثا: أسواق السودان الشرقي ومنها: أسواق دارفور، وكوردوفان، كالفاشر والفوجة والأبيد، وسنار والخرطوم، ودنقلة، وبربر وسواكن، وسليمة ووادي خلفا ويتمثل دورها:

- ✓ في وفرة المياه الطريق
- ✓ الطريق أكثر أمانا وسلامتها من قطاع الطرق
- ✓ وجود أدلاء للطرق وحراستها[2].

3- البضاعة المتداولة:

وتقتصر فيه على حركة التبادل التجاري والسلع المطلوبة وقد استرعى انتباهنا فيها ما أحدثته من حركة عمرانية تمثلت في مد الجسور عبر الصحراء وازدهار المدن والمراكز التجارية في اعماقها.

هذه السلع التي كان يتبادلها سكان الشمال مع الجنوب، وقد حاولنا ذكرها ولو بشيء من التوسع قد تفيدنا في معرفة نوع البضاعة التي كانت يتبادلونها الطرفان (الشمال والجنوب):

- **تجارة الذهب والملح:**

ارتبط الذهب بمادة أخرى هي الملح ولا يعني هذا الارتباط وجودهما في مكان أو قربهما بل هذا الارتباط راجع الى أن الملح كان السلعة التي يتلهف ويقبل عليها السودانيون المنتجون للذهب والذين يشترون به الملح، اذ يجب مقايضة الملح بالذهب والذهب بالملح.

وبلاد السودان تتوفر على الذهب الذي يحتاجه أهل الشمال، فقد أدى هذا الى تقوية العلاقات التجارية بين الطرفين، وتقرن تجارة الذهب بما يعرف بالتجارة الصامتة.

---

[1]-محمد أعفيف، **المسالك الصحراوية توات حلقة اتصال بين المغرب وافريقيا الغربية (العلاقات بين المغرب وافريقيا الغربية)**، منشورات جمعية موظفي كلية الآداب والعلوم الانسانية، منشورات عكاظ ، الرباط، ص49-59.

[2]- الهادي المبروك الدالي، مرجع سابق، ص 294.

فقد كتب المسعودي"(أن التجارة الصامتة كانت في أيامه معروفة بسجلماسة وتحدث حين يذهب التجار الى الأهالي الذين يسكنون قرب معدن الذهب ويضعون أكواما من السلع كما كان هناك سلع وبضائع أخرى يقبل عليها الطرفان بالإضافة الى الذهب والملح.

ويستفاد من بعض الروايات المتداولة في بلاد الصحراء وبلاد السودان أن العبيد كان يباع بما يساوي حجم قدمه من الملح وهذا ما يؤكده ارتفاع أسعار الملح ببلاد الصحراء[1].

ومن غرائب تلك الصحراء ملح تحفر عنه الأرض كما تحفر على سائر المعادن ويوجد تحت قناة أو دونها من جهة الأرض، ويقطع كما تقطع الحجارة وعليه حصن مبني من حجارة الملح وكذلك يَدُونُه ومشارفه وتحَرُفه كل ذلك من الملح ومن هذا المعدن يتجهز بالملح من سجلماسة وغانة وسائر السودان والعمل فيه متصل لتجار اليه سائرون وله علة عظيمة[2].

- **السلع الأخرى:**

يقوم التجار بشراء الجمال ويقتنون سلع السودان، ويعودون بها الى الشمال مع مطلع فصل الربيع وأهمها: العبيد السود ذكورا وإناثا والذهب ومعدن النيلة والملح والعاج، وريش النعام والجلود المدبوغة والجمال والتمور والجبن المجفف والسمن وبعض الأقمشة الإفريقية والأحجار الكريمة[3].

-الجلود تشتهر مدينة غات ببعض الصناعات المعتمدة على الجلود أهمها تصنيع الأحذية،كما تدبغ جلود الماعز وترسل إلى غدامس في شكل حزم كبيرة كما تأتي إلى غات الجلود السودانية التي تتولى القوافل نقلها مدبوغة.

-الأقمشة المختلفة من كل جنس، ونوع إفريقي، أوربي، بيضاء ملونة ومزركشة، صوفية وقطنية، وحريرية وكتانية وأشهرها الجوخ والشاني.

-الأسلحة المختلفة: للدفاع والهجوم، لتسليح القوات المحلية كدروع لخناجر والسهام وأقواس النشاب والبنادق.

---

[1]-رجب نصير الأبيض، **مدينة مرزوق وتجارة القوافل الصحراوية خلال القرن التاسع عشر، (دراسة في التاريخ السياسي والاقتصادي)**، ط1، دارالكتب الوطنية، ليبيا، 1998، ص255-258.

[2]- البكري، مصدر سابق، ص171.

[3]- يحي بوعزيز، **تاريخ افريقيا...**، مرجع سابق، ص53،54.

-أدوات الحديدية: كالإبر والأواني المترلية الأخرى والنحاس الأصفر والنحاس العادي، سواء كان علي شكل سوائل وصفائح أو قوالب، وأسلاك النحاس، والكبريت ومعظم هـــذه الأدوات كان يؤتي بها من مدينة البندقية الإيطالية إلى موانئ طرابلس والجزائر ووهران.

-الخضر الجافة والزيوت والشحوم والزبدة والأغنام والأصواف[1]

-الروائح العطرية، والأدوية العشبية والبهارات ومواد الصباغة والعطور والشاي والسكرة، وصمغ الصنوبر ونبات تاسلغة، والتي تستعمل للطبخ والزينة .

-كان التجار التواتيون هم الذين يتوجهون على رأس قوافلهم التجارية المحملة بالســـلع إلي السودان الغربي، وسلعهم تشمل :القهوة والسكر، الملابس المطرز والأسلحة النارية والتمور والحناء والشمة التواتية، وكان التجار التواتيون يبادلوها هناك بالعبيد والذهب الخام والريش النعام والعاج والأقطار غيرها[2].

-الكتب المخطوطة والمنسوخة، والورق والأقلام وذلك بسبب إزدهـــار الثقافـــة العربيـــة الإسلامية وإنتشارها بشكل واسع، واهتم العلماء بتدريس العلوم الإسلامية في مختلـــف مراكـــز العمران الصحراوية وعلى رأسها تومبكتو وتوات، وورقلة، تقرت، غدامس وجني[3].

[1]- جمال زكريا قاسم، **الأصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية** ،منظمة العربية والعلوم ، معهد البحوث والدراســـات العربيـــة، 1975، ص159-163.

[2]- فرج محمود فرج، مرجع سابق، ص70_72.

[3]- يحي بوعزيز، **تاريخ افريقيا...**، مرجع سابق، ص52.

- **العملات:**

العملات المستعملة وأسعار السلع كانت التجارة في الصحراء تتم بالتبادل العيني في معظم الأحيان نظرا لقلة العملات وضعف انتشارها واستعمالها ونذكر منها[1]:

العملات	
عملة حديدية	منتشرة كثيرا في مناطق غينيا كما ذكر بن بطوطة.
عملة نحاسية حمراء	رقيقة وغليظة، ذات قيمة منخفضة جدا.
عملة الملح المعدني	يقطع الى قطع صغيرة مختلفة الأحجام والأشكال تستعمل في الشراء والبيع.
الكوري couris	وهي عملة فارسية وتشبه عملة الزجاج والجلد كما كان لدى القرطاجيين.
الدوخة ducat	الذهبية والفضية.
الدراخمة	وهي عملة مستوردة من الخارج من طرف التجار.
الدينار	الشائع الاستعمل في بلدان المغرب العربي (المثقال الذهبي-المحبوب الذهبي-الموزونة الذهبية).
الصائمة النحاسية	الشائعة الاستعمال في بلدان المغرب، الدور الفضي الشائع لاستعمال في بلدان المغرب.
البنتوا pinto	وهي عملة أجنبية مستوردة من الخارج.

-كانت تجارة القوافل الصحراوية إلى حد بعيد نشطة رغم الأتعاب والمشاق التي يتكبدها التجار، وذلك من ضمن الحوافز التي دفعت الأوروبيون إلى التنافس على غزوها واستعمارها خلال القرنين 18و19م.

[1] يحي بوعزيز، **تاريخ افريقيا**...، مرجع سابق، ص52.

الفصل الثالث

دور القوافل التجاري في ربط العلاقات بين طرفي الصحراء الكبرى

I الدور الاقتصادي.

1. التبادل التجاري.

2. الأمن الغذائي.

II الدور الإجتماعي والثقافي.

1- إجتماعيا .

2- ثقافيا .

III دينيا .

1- دور التجار والدعاة في انتشار الاسلام.

2- دور الطرق الصوفية في نشر الإسلام.

كانت مظاهر الصلات والتواصل بين أقطار إفريقيا وبين البلاد الأفريقية جنوبي الصحراء تمتد إلى فترات زمنية بعيدة تسبق الفتح الإسلامي لأقطار المغرب كافة، وكانت هذه الصلات والعلاقات ممثلة في التجارة التي تربط بين أواسط إفريقيا وغربيها وبين سواحلها الشمالية عن طريق الواحات التي تعد محطات لقوافل التجارة التي وجدت سبيلها إلي أسواق المدن وواحات أقطار وشمال إفريقيا وكانت عروض التجارة من أواسط إفريقيا تنقلها القوافل لتجد طريقها علي شواطئ البحر الأبيض المتوسط.

I الدور الاقتصادي:

من الناحية الاقتصادية استطاعت القوافل التجارية أن تكون أحد العوامل الرئيسية التي أدت إلى ازدهار الحياة الاقتصادية في إفريقيا، وكان التقدم الاقتصادي ردا بالغا على افتراءات الاستعمار الأوروبي الذي زعم أن أفريقية كانت تعيش في العصر الحجري حينما نزلت بها الحملات الاستعمار الأولى.

1. التبادل التجاري:

كانت هناك مبادلات بالغة الأهمية بين الشمال الأفريقي ومصر من جهة والمناطق الإفريقية المحيطة بجنوب الصحراء الكبرى والتي كانوا يسمونها بلاد السودان من جهة أخرى، وكانت تصدر إلى الشمال عدة منتجات من أهمها الذهب الذي اشتهرت بتوفره فيها، كما أنها تستورد من الشمال كثير من المواد مثل المنسوجات والكتب ومواد أخرى، كما أن منطقة الصحراء كانت تصدر إلى بلاد السودان معدن الملح[1].

أما منطقة الساحل الرعوية فكانت تصدر إلى الشمال والجنوب مختلف أنواع المواشي والجلود والجبن واللحوم المجففة التي إشتهرت بها تلك المنطقة منذ القديم وحتى اليوم[2].

ومن أهم الآليات في عملية التبادل التجاري المحض، وباتجاهات مختلفة، سواء بالنسبة للقوافل التجارية البحتة أو بالنسبة لركب الحجيج، وما يرافقه من فرصة للتبادل التجاري، ويعد الحج من أهم الأوقات التي تنشط فيه حركة التبادل التجاري، إذ نجد الحجاج في بعض المحطات للتزود

---

[1]- محمد أحمد، **التواصل الحضاري العريق بين المناطق الافريقية الواقعة شمال الصحراء** الكبرى وجنوبها، (ندوة التواصل)، مرجع سابق، ص166.

[2]- محمد أحمد، **ندوة التواصل**..، المرجع السابق، ص166.

بالمؤن الضرورية، ويقمون بتصريف السلع أثناء عودتهم[1]وقد أوردت المصادر أن طريق الحج شهد حركة واسعة، ومن ذلك قول العياشي "وتسوقنا هناك فئة قليلة من الأعراب بغنم قليل تخاطفتها الحجاج بأغلى ثمن لطول عهدهم باللحم..."[2]

وكان عند العودة من تأدية فريضة الحج يجلبون معهم سلع، مثل الفلفل الأسود، القطن القهوة، بإضافة إلى المسك، الجاوى والزبدة[3]، يرجع بعض الباحثين أن طريق الحج كانت طويل وشاق يحتاج إلى التزود بالمال والمؤونة، ولهذا يقومون بامتهان حرفة التجارة في الذهاب والإياب وذلك من أجل كسب قوتهم.[4]

لقد غزت قوافل التجار الصحراء الكبرى عدة مواقع أهمها سجلماسة في المغرب وغدامس في الشرق، وكانت تلك القوافل تحمل بضائع مختلفة إلى الجنوب .

2. الأمن الغذائي:

وفرت القوافل التجارية لدول الإفريقية كل أسباب النمو والتطور الاقتصادي والاجتماعي، وهذا خلال الأرباح التي يجنيها سكان إفريقيا منها تحسن مستوي المعيشة وتحقيق الأمن الغذائي وغيرها، كما ساهمت بتوفير رؤوس الأموال متمثلة في قناطير الذهب، والتبر وقوافل العبيد مما انعكس إيجابا على نمو وتطور الحرف، وظهور الصناعات، ووفرة الإنتاج الزراعي[5]مثل:

-مجال الصناعي:

عند وصول الإسلام إلى إفريقيا، حث الناس على ارتداء الملابس، فازدهرت بذلك صناعة النسيج وحياكة الملابس وكانت تومبكتو تشتهر بصناعتها النسيجية، بإضافة إلى الصناعات

---

[1]- محمد شرف الدين ،**مدخل إلى تاريخ طرابلس الاجتماعي والاقتصادي (1711_1833م)** ،مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1989، ص100_101.

[2]- العياشي، مج1، المصدر السابق، ص112.

[3]- قاسم أحمد، **ايالة تونس العثمانية على ضوء فتاوى ابن عظوم (1574_1600)**، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس،2004 ، ص315.

[4]- أبو لقاسم سعد الله، مع العياشي في رحلته الى القدس، مجلة التاريخ العربي، العدد 10، جمعية المؤرخين المغاربة، الامارات العربية، 1999، ص104.

[5]- قويدر بشار، **القواقل التجارية المغاربية**، ضمن كتاب القوافل بالتعاون مع اللجنة الوطنية لليونسكو، المركز الوطني للبحوث، الجزائر، 2001، ص17.

الاستهلاكية المحلية فقد نمت نموا ملحوظا فظهرت دباغة الجلود[1]، وكان الإفريقيون يصدرون أنواعا من الأحذية إلى تلك البلاد ضمن حركة التبادل التجاري[2].

بإضافة كذلك إلى صناعة الأسلحة التي كانوا يحتاجون إليها في الحروب الدفاعية وفي مقاومة الحيوانات المفترسة وفي الصيد، وكان الحدادون يحتلون مكانة مرموقة في المجتمع إفريقي، لأن صناعتهم كانت راقية نظرا لحاجة الفلاحين إلى الأدوات الزراعية ولحاجة العمال اليدويين إليها في التجارة والدباغة والحياكة[3].

وفي مجال آخر إستطاع الأفريقيون أن يستغلوا الثروة الذهبية في بلادهم بمساعدة جماعة من التجار العرب من شمال إفريقيا، ويؤكد المؤرخ الفرنسي شال **أندري جوليان** "أن سبائك الذهب الإفريقية قد وصلت إلى بلدان البحر الأبيض المتوسط و لم يتقن الإفريقيون هذه الصناعة إلا عندما دخل الإسلام إلى بلدانهم فعرفهم بقيمة هذا المعدن في الحياة الإقتصادية[4].

-المجال الزراعي:

شجع الإسلام علي العمل وجعله عبادة، فالإنسان في حد ذاته مرتبط بخدمة بالأرض لأن منها قوته وغذاءه، بالإضافة إلى تربية الحيوانات والإستفادة منها، لذا كان للإسلام أثر بالغ في تشجيع العمل الزراعي وتربية المواشي[5]، فتركوا الترحال وحياة الغابات ليستقروا في الأرض الزراعية بصورة دائمة، وعرفوا بعد إستقرارهم قيمة الكنوز الدفينة في الأرض، فزرعوا الأرض الشاسعة بالحبوب والأرز[6].

كانت القوافل التجارية تنطلق من بلاد المغرب (مراكش، تلمسان، تونس، طرابلس وحتى مصر) باتجاه الجنوب قاطعتا الصحراء لتصل إلى المراكز الرئيسية في إفريقيا مثل تمبكتو، غانا

---

[1]- محي الدين صابر، **العرب وإفريقيا العلاقات الثقافية**، ط1، المكتبة المصرية، لبنان، 1987، ص9-17.

[2]- نعيم قداح، **افريقيا الغربية في ظل الاسلام**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1977، ص143.

[3]- عبد الفتاح مقلد الغنيمي، **حركة المد الإسلامي في غرب إفريقيا**، مكتبة نهضة الشرق، مصر، 1985، ص ص169-180.

[4]- فنسان مونتاي، **الإسلام في إفريقيا السوداء**، تر: إلياس حنا إلياس، ط1،دار أبعاد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1983، ص ص229-302.

[5]- نعيم قداح، مرجع سابق، ص141.

[6]- شوقي عطاء الله الجمل وإبراهيم عبد الرزاق، **تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**، ط2، دار الزهراء للنشر والتوزيع، 1422هـ-2002م، الرياض، ص87.

ومماليك الهوسا وبورنو وغات وغيرها من المناطق التي اشتهرت كمراكز تجارية حاملتا معها بضائع التي كانت مطلوبة مثل الحرير، سروج ونحاس مقابل الذهب والجلود والعاج والعبيد[1].

انتعشت الحركة التجارية في نهاية القرن الثامن عشر ميلادي، وذلك لعوامل متعددة على رأسها القرارات التي إتخذها السلطان المغربي مولاي سليمان، والتي تسعي من خلالها إلى التقليل من حجم التبادل التجاري مع أوروبا، وتقوية التبادل مع بلاد السودان (مالي حاليا) عبر تجارة القوافل لذا حرص على ضمان الأمن عبر طريقها وقد إستمر هذا الإنتعاش فترة هامة من القرن التاسع عشر ميلادي، واستمرت حتى وضع الأوروبيون يدهم على المنطقة، كما أن فتح ميناء الصويرة بالمغرب من واحة الملاحة التجارية خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر، وحصر رسوم الجمارك على الواردات والصادرات التي تمر بالميناء بنسبة 2% [2].

إستهوت هذه التجارة أنظار الدول أوروبية فهي جعلت منطقة شمال وغرب إفريقيا محل جذب للتجار الأوروبيين، فكانت السياسة الإنجليزية تهدف إلى السيطرة على تجارة القوافل وذلك نظرا للأرباح التي كانت تدرها[3].

هذا كله أدى إلى إشتعال نار المنافسة خاصة بعد وقوع بعض البلدان تحت وطأة الإستعمار مثل الإحتلال الفرنسي للجزائر الذي كان يفرض قيود على القوافل.

حيث ذكرت التقارير السرية التي كتبها مسؤولون عن الإدارة الفرنسية في إفريقيا، تحدث عن ضرورة مراقبة القوافل التجارية بعد ما ثبت أنها تقوم بتهريب الأسلحة بين المستعمرات الفرنسية شمال وجنوب الصحراء، وأدت هذه الوضعية إلى تراجع النشاط التجاري.

ساهمت القوافل التجارية في رقي المجتمعات الأفريقية التي وفرت جميع الإحتياجات من مناصب عمل أو المتاجرة، كما عملت على تنويع الواردات لهذه البلدان بجلب منتوجات جديدة إليها.

---

[1]- العراقي (السيد أحمد)، **تجارة القوافل بين الشمال وغرب إفريقيا وأثرها الحضاري**، ضمن كتاب تجارة القوافل ودورها الحضاي حتى نهاية القرن التاسع عشر، نشر المنظمة العربية للتربية والثقافية والعلوم معهد البحوث والدراسات العربية ، بغداد، 1984، ص150-151.

[2]- عبد الرحمان اكمير، **الحضور المغربي الأوروبي في إفريقيا الغربية** ، مجلة المستقبل العربي ، العدد281،جويلية 2002، ص ص 135-139.

[3]- حميد عبد اللطيف، **المجتمع والدولة والإستعمار في ليبيا**، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1988، ص60.

II الدور الإجتماعي والثقافي

كانت هذه العلاقات في الماضي تقوم علي التجارة فقد صارت مع مرور الأيام تشمل جميع جوانب الحياة كما دفعت التطورات الإجتماعية والأحداث السياسية في الشمال الإفريقي عبر التاريخ بعض الأهالي إلى اختراق الصحراء والإستطان بين الأهاليها، والإندماج معهم، وكان ذلك في البداية عن طريق حركة القبائل من الدعاة الذي إعتادوا على الغزو والتنقل من مكان لآخر بحثا عن الخصب إلى أن جاء دور حركة القوافل التجارية واضحا في الجانب الإجتماعي والثقافي.

1- إجتماعيا:

وقد ترتب عن حركة القوافل تأثيرات اجتماعية وذلك بتنقل التجار وتبادل البضائع والعلاقات الانسانية التي نشأت بين الطرفين، إن رواجا إقتصاديا حدث وأدى إلى ارتفاع في الدخل وتحسن في أوضاع المعيشة، ولمعت صورة التجار في المجتمع وظهرت أسماء بعض العائلات التي أصبح لها تأثيرها الاجتماعي والسياسي.[1]

قد أثبتت الأبحاث أن هذه العلاقات كانت ثابتة ومتطورة عبر الأجيال، وأنه نتيجة لهذه العلاقات والإمتزاج الإجتماعي عن طريق المصاهرة جرت دماء الشمال في الجنوب والعكس ونتج عن ذلك التطورات الأجيال من الصعب تصنيفها بأنها تنتمي إلى الشمال أو إلى الجنوب، بل إن هذا الإمتزاج بين هذه المجموعات قد بلغ أحيانا حدا إنتهت فيه بعض العناصر إلى الإنصهار الكلى في بعضها البعض، كما هو الشأن العنصر الصنهاجي الذي تنتمي إليه مجموعات كبيرة في افريقيا السودان الغربي.[2]

كانت هناك في مناطق مختلفة وبالأخص في "كانو" كانت إقامة التجار تطول ومعرفتهم بالناس تزداد، ومصالحهم تتشابه، وعلاقتهم تتوطد، فحدث التزاوج ظهر جيل طرابلسي الأب سوداني الأم، ويمكن ملاحظة ذلك عند ما نجد في الأسرة الواحدة من تلك الأسر إختلافا في لون البشرة، وبالنظر إلي الإنتماء لنفس الأسرة فلا نجد أية تفرقة في التعامل، فالتزاوج يحدث بين أفراد

---

[1]- صلاح الدين حسن السوري، **العلاقات بين ليبيا وشعوب الصحراء**، (ندوة التواصل)، مرجع سابق، ص208.

[2]- عبد السلام أبو سعد، **العلاقات الثقافية بين الشعوب الافريقية وأثر الاسلام واللغة في ترسيخها**، (ندوة التواصل)، مرجع سابق، ص17.

تلك الأسر، وبينهم وبين الأسر الأخرى، دون تمييز بين الأبيض والأسود، لأن معيار الإختيار يتعلق الى حد كبير بمكانة العائلة الاجتماعية.[1]

إن العنصر الحاسم الذي أثر في التطور الاجتماعي والحضاري بالسودان يتمثل في العامل التجاري، فإليه ينسب كثير من المؤرخين ما عرفته أقاليم السودان من إزدهار حضاري وتطور سياسي وإقتصادي وذلك لما أتاحته القوافل من فرص الإطلاع على العادات والمعطيات الحضارية في حوض البحر المتوسط[2].

كما وصل العرب الى تشاد عن طريق النيل وعبر الصحراء من ناحية الشمال واستقروا حول بحيرة تشاد واختلطوا بالوطنيين وظهرت عناصر متميّزة منها التنجور والبولالا على أنهم اشتهروا باسم شوي، الذين يتحدثون العربية حتى اليوم في شمال الكامرون وشمال شرق نيجيريا[3] .

كان للعنصر البشري أثر التبادل الحضاري بين ضفتي الصحراء، وذلك عن طريق تسليط الأضواء على الجالية المغربية بالسودان الغربي، ومن الطبيعي أن يكون المغربي ببلاد السودان الغربي كثيف نظرا للعلاقات التجارية والروحية التي ربطت المنطقتين منذ فترة طويلة.

فقد انبثت الجالية المغربية ببلاد السودان إلى جانب الجالية الأخرى و خاصة المصرية منها ولعبت أدوارا كبيرة في التاريخ الإقتصادي والاجتماعي والروحي للسودان الغربي[4].

ويكن القول أن العناصر الفاعلة في التجارة الصحراوية كانوا إما سكان الحواضر المغربية والسودانية، أو عناصر الرحل غالبا ما انتهى بهم الأمر إلى الإستقرار في المدن، وعند وصول التجار المغاربة إلى المراكز الحضرية السودانية كانوا يقومون بكراء المنازل لسكانهم ولتخزين سلعهم طيلة فترة مقامهم هناك، وهي كانت تطول شهورا [5].

ولكن في غالبية الحالات كانوا يقيمون مع زبائنهم أو لدى وكلاء الشركات التي ينتمون إليها، فالفنادق المخصصة للجالية الأجنبية لم تكن معروفة بالسودان الغربي، على عكس بلدان حوض البحر الأبيض المتوسط حيث إنتشرت الفنادق المخصصة للتجار الأجانب في أغلب المدن

[1]– صلاح الدين السوري، مرجع سابق، ص209.

[2]– محمد الغربي، مرجع سابق، ص259.

[3] Polmer , **Bornu sahra and sudan**, London, 1936, P7.

[4]– محمد الشريف، **الجالية المغربية ببلاد السودان الغربي**، (ندوة التواصل)، مرجع سابق، ص434.

[5]–ابن بطوطة، المصدر السابق، ص681.

التجارية بل إن التجار المغاربة كانوا يسكنون أحياء خاصة بهم حيث يتوفرون على منازل وحوانيت ومساجد خاصة.

إن إقامة المغاربة في أحياء خاصة بهم لا تعني إنعزالهم أو ترفعهم عن المجتمع السوداني، فقد سجل ابن بطوطة حسن التعايش بين أهل السودان ومن خالطهم من البيض ومعظمهم من المغرب وباقي الشمال الأفريقي[1].

إن تأثير التجار العرب في السودان لم يقتصر علي التقنيات التجارية وأشكال الحياة المادية فقط وإنما لامس كثيرا من المظاهر الحضارية والمعتقدات الجماعية للمجتمع السوداني، مع تكثيف العلاقات بين المنطقتين، إجتاز العلماء والمثقفون المسلمون الصحراء لإقامة في المدن السودانية وفي بعض الأحيان ليستقروا نهائيا هناك، كما توافد الأدباء السودانيون علي بلاد المغرب للدراسة فالقوافل القادمة على مدى الأحقاب الدعاة المسلمين إلى دروب إفريقيا وسهلت بالقدر الذي لا ينكر الإشعاع الحضاري بتلك الجهات[2].

إن الحضور العام للجالية المغربية والاسلامية في السودان الغربي وزواج أفرادها من السودانيات كانت مناسبة لخلق إختلاط دائم في الدماء، ترجمة في أهمية السكان المختلطين ونعثر على عدة أمثلة لأفراد من عائلات تجارية مغربية إسلامية مثل عائلة المقري المستقرة بولاتة، فقد إتخذ أفرادها "الأقطار والحوائط والديار وتزوجوا النساء واستولدوا الإماء"[3].

الواقع أن أبناء الذين ولدوا من هذا الزواج المختلط ساهموا في تركيز سلالات تجارية وعلمية مغربية سودانية بالصحراء، أو حتى سلالات شريفة، فالشريف أحمد السقلي ترك أبناء وأحفادا في السودان الغربي يعتبرون مثله شركاء[4].

من جانب آخر نجد أن العبيد الذين شكلوا إحدى أهم السلع التي كان يستوردها المغاربة من السودان إلى جانب الذهب قد كان لهم أثر في المجتمع، ويجب التذكر بهذا الصدد أن تجارة العبيد كانت أمرا مألوفا في العالم القديم عند كل الشعوب على إختلاف مستوياتها [5].

---

[1]–ابن بطوطة، المصدر السابق، ص689.

[2]– محمد الشريف، مرجع السابق، ص443.

[3]– المقري ، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تر: إحسان عباس، دار الصادر، بيروت، 1988، ص20.

[4]– ابن بطوطة، مصدر سابق، ص697 .

[5]– عبد العزيز العلوي، **العلاقات التجارية والثقافية بين المغرب المريني وإمبراطورية مالي**، (د ت)، ص63.

لقد ذكر ابن بطوطة أن القافلة التي رافقها إلى توات كانت تظم حوالي 600خـــادم [1]، أي العبيد النساء على ما يرجح، والجدير بالذكر أن الأوروبيون استندوا على هذا الرقم للحديث عن تصدير العبيد، مقارنين ذلك بما يعرف بتجارة الرق في القرون التالية[2] .

وسابقا بمجرد ما تأسست مدينة تمبكتو نهاية القرن الخامس الهجري، توافد اليهـــا العلمـــاء والتجار من مصر وغدامس وفاس وسوس وغيرها[3] وقد إستقرت فيها جاليات من أوجله وغدامس وتوات وكانوا ذوي مراكز اجتماعية مرموقة وإذ كان الحاج المصراني من أشهر النبلاء المدينة أبان احتلالها من قبل أحمد المنصور في القرن السادس عشر الميلادي.[4]

لا ريب أن هذه الصلات والعلاقات والتاريخ المشترك والإنصهار بين الأهـــالي قـــد تـــرك بصماته على علاقة الأهالي بتلك الجالية التي عاشت واندمجت معها فتكونت أنماط من العـــادات والتقاليد و الأعراف المشتركة وسري الدم، وإندمج هؤلاء في أولئك عـــن طريـــق الإخـــتلاط والمصاهرة، فنتج عن ذلك ثقافة واحدة، تستمد جذورها من تاريخ المشترك والعلاقات المتميزة.

1. ثقافيـــا:

ان الوضع الثقافي عرف إنتعاش منذ دخول الاسلام حيث حمل معه حركة ثقافية واسعة فيما إن تمكن من قلوب السكان فوفد على المنطقة علماء ومشايخ من جميع الجهات، وأنشأت الزوايـــا والمدارس وحتى راح الناس يقبلون العلم والمعرفة من أفواه العلماء في مختلـــف العلـــوم الشـــرعية واللغوية والعقلية، في تلك المدارس والزوايا، وبتقدم العصور كان القرنان 18و19م عصرا ذهبيا في تاريخ إفريقيا وخصوصا في إقليم توات[5].

وكانت الصلات بذلك تتأكد وترسخ أركانها، فعلاوة على المصالح التجارية صارت أخـــوة الإسلام من أقوى الأواصر التي تؤكد التواصل الثقافي وترسيخه وإزدادت العلاقات الثقافية نشاطا وإرتباطا في القرن التاسع عشر الميلادي، عندما أصبحت الحواضر الصحراوية محطة تجارية عـــلاوة على كونها مركزا علميا يؤمن طلاب المعرفة والعلماء أنحاء إفريقيا ويقال إن جاليات كثيرة نزحت

---

[1] – ابن بطوطة، المصدر السابق ،ص699.

[2]-Many R: **les siecles obseurs de l'afrique noire**, fayad, paris, 1970, p185.

[3] – حسن إبراهيم حسن، **مسالك الاسلام الى القارة الافريقية**، مجلة البينة، العدد الأول، السنة الأولى،ماي1963، المغرب، ص 146.

[4] – عبد الرحمان السعدي، **تاريخ السودان**، مطبعة تونس، 1964، ص58.

[5] – عبد القادر قادر، **علماء توات في الدرس اللغوي خلال القرنين 12هـ و13هـ** ، مجلة أثر ، العدد19، جانفي، 2014، ص90.

من الشمال وإستقرت تلك الحواضر خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ساهمت في نشر الثقافة وتدعيم العلاقات الإجتماعية.

ازدهرت تجارة القوافل وانتشر الإسلام، وقامت علاقات ثقافية وإجتماعية وسياسية بين أقطار ضفتي الصحراء، وحدث تلاقح بين الحضارتين العربية والإفريقية في جميع الميادين في ظل الحضارة الإسلامية العالمية.[1]

ظهر في إفريقيا علماء تركوا لنا ثروة علمية وفقهية مفيدة في مختلف مجالات العلوم الاسلامية والانسانية والاجتماعية وحتي الاقتصادية، ولعل القرنين الثامن عشر والتاسع عشر يمثلان الذروة في الثقافة العربية في هذه البلاد.[2]

- **أثر اللغة العربية في تدعيم الصلات الثقافية بين الشعوب:**

كانت القوافل التجارية تحمل الإسلام واللغة العربية والحضارة الإسلامية وبهذا انتشرت اللغة العربية انتشارا واسعا في إفريقيا بدخول الإسلام لها، فحيث حل الإسلام حلت اللغة العربية لأنها لسانه وأداته في مخاطبة الآخرين، وبهذا دونت علومه المختلفة، وقد أقبل الإفريقيون على تعلمها إقبالا كبيرا، فهي لغة الدين، وهذا يظهر بوضوح في مجالات الدين والأسرة والحياة الاجتماعية بعامة، والتشريع والمعاملات التجارية والإدارة وغيرها مثل هذه اللغات التي سبقت اللغة العربية منها **الهاوسا** ويتحدث بها في نيجيريا وجزء من بلاد السودان ويزيد عدد الناطقين بها عن خمسين نسمة، **والفولاني** بلهجاتها المختلفة التي يتحدث بها في المنطقة الممتدة من السودان حتى السينيغال لغة **المادنيكان** التي تلي الهاوسا والفلاني في انتشار ويتحدث بها غينيا وغيرها، اللغة **الصومالية** يتحدث بها الصومال وقد استعارت هذه اللغة كسابقاتها كثير من مفرداتها من اللغة العربية[3].

لذلك فإن المجتمع الإفريقي يعطي العلم والعلماء منزلة عظيمة ورفيعة لأن أول ما أنزل الله من القرآن الكريم كان يدعوا للقراءة والعلم قال تعالى: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ**

---

[1]- حسن الصادقي ، **جوانب من التواصل الثقافي في شمال جنوب** ،(ندوة التواصل)، مرجع سابق، ص263.

[2]- شوقي عطاء الله الجمل وآخرون، مرجع سابق، ص115.

[3]- بوفضل حسن، **جذور العلاقات بين الثقافة العربية والثقافة الافريقية**، مجلة تاريخ العرب والعالم، عدد89-90، دار النشر العربية، ص89.

﴿عَلَّمَ﴾[1]، علاوة على كونها لغة العلم والتاريخ والحضارة، وبهذا كُتب تاريخ إفريقيا، و لم يكتب من قبل لأن الإفريقيين لم يكونوا على علم بالكتابة قبل دخول الإسلام والعربية إليهم[2].

وقد أصبحت اللغة العربية لغة أساسية للتخاطب والكتابة والثقافة أو على الأقل أصبحت بعض لغات الإفريقية تستخدم الحروف العربية والمصطلحات تخص مفردات دينية وقضائية وكل ما يتعلق بنظام الحكم، وذلك لأن اللغة العربية صاحبت دخول الإسلام في المماليك الإفريقية[3].

ومما ساعد على إنتشار اللغة العربية حرص المسلمين الأفارقة على القرآن الكريم وكتابات قادة طرق الصوفية شعرا ونثرا بالعربية أو باللغات المحلية بواسطة الأحرف العربية.

شجع حكام المماليك الإسلامية الإفريقية للعلماء ورجال الدين أن توافد على هذه البلاد عدد منهم من مختلف الأقطار الإسلامية من الشرق والمغرب وقد أنفق عليهم السلاطين المال وشجعهم على الإقامة ببلادهم لتثقيف الناس وإرشادهم في شؤون دينهم[4]

وتعلم اللغة العربية في إفريقيا بجانب كونه واجبا دينيا على كل مسلم إفريقي، أمر يحتمه تأكيد أصالة الثقافة الأفريقية والعلاقة الوثنية بين الثقافة إفريقية واللغات الإفريقية وبين الثقافة العربية واللغة العربية، والتأثير متبادل بين طرفين التوأمين المتكاملين[5].

وقد ظلت اللغة العربية لغة العلم والحضارة في أنحاء افريقيا قرونا طويلة إلى أن جاء المستعمر الأوروبي ووجه إليها سهامه ليحل لغته محلها حتى يتم له القضاء علي الشخصية الأفريقية، وقتل روح الأصالة والتحرر في نفوس أهلها [6].

---

[1]- سورة العلق، الآية 5.

[2]- عبد السلام أبو سعد، مرجع سابق، ص28

[3]- حسن أحمد محمود، **الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا**، ج1، دار النهضة، القاهرة، 1963، ص10.

[4]- محمد ولد عبدي، **حاضرة تنبكتو تاريخها منجزها الحضاري وصورتها في مرايا الرحالة العرب والمسلمين**، (ندوة التواصل)، ص 152-154.

[5]- عبد السلام أبو سعد، مرجع سابق، ص28.

[6]- محمد شاكر، **العالم الإسلامي**، المكتب الإسلامي، بيروت، (دت)، ص26-27.

- **الرحلات العلمية:**

أسهمت بحظ وافر من تعميق الاتصال العلمي بين أقطار إفريقيا المسلمة، وبلاد السودان بمراكزها العلمية وتجارتها الرابحة تجذب طلبة العلم من أقطار مختلفة من الشمال والجنوب، كما كان عدد من أهل تلك البلاد يوفدون على المناطق الشمالية إما لطلب العلم وإما للعبور إلى الشرق لأداء فريضة الحج وفي أثناء ذلك كانت العلاقات الثقافية والعلمية تتوطد وتتوسع، وكانت الرغبة الصادقة في لقاء علماء كل قطر والتبرك بهم والإستفادة من علمهم والظفر بإجازتهم عاملا كبيرا في تعميق الروابط العلمية والثقافية بين أبناء تلك المناطق [1].

كان التبادل الثقافي قائما بين الطرفين فطلاب الجنوب وعلماؤها كانوا يشدون الرحال إلى الشمال للتعلم وتبادل الخبرات والثقافات ...وكذلك الشأن مع شمال القارة، فإنهم كانوا يذهبون إلى تلك البلاد تلبية لطلب وحاجات المسؤولين فيها، كما كان علماء الشمال يرسلون إلى إخوانهم في الجنوب ما يطلب من كتب مؤلفات وغيرها، وكذلك كان علماء الجنوب يرسلون بمؤلفاتهم إلى إخوانهم في الشمال للإطلاع عليها والإفادة منها، وخزائن الكتب والمخطوطات في الشمال والجنوب تحتوي على كثير من الذخائر[2].

ولازال هذه البعثات مستمرة ومتجددة مع تجدد الأجيال وتقدم الشعوب الأفريقية وإن الدارس لتاريخ القرويين ومعاهد الجزائر وطرابلس وتونس والأزهر لا يجد المئات بل الآلاف من الطلاب الإفريقيين الذين إلتحقوا بهذه المراكز العلمية، فتزودوا بالمعرفة، ودرسوا الثقافة العربية الإسلامية، والعلوم الشرعية والعربية، وغيرها من فنون المعرفة، ثم رجعوا إلى أوطانهم محملين بعلومهم وما يختارونه من الكتب فينشرون العلوم الإسلامية واللغة العربية، والثقافة الواحدة بين ذويهم وأهلهم، ويزيدون بذلك هذه العلاقات الثقافية انتشارا واستقرار، وإن كثير من هؤلاء يواصل دراسته العليا في هذه المعاهد، فينال الدرجات العالية التي تؤهله للقيادة والريادة[3]

رحل علماء الضفة الشمالية إلى الضفة الجنوبية كذلك للتدريس بها أو لمزاولة القضاء أو لزيارة شيوخ العلم حيث كان يذهب علماء الشمال من طرابلس، الجزائر، تلمسان، فاس، مكناس

---

[1]- محمد تأمين المؤدب، **جوانب من الصلات الثقافية بين المغرب وغرب إفريقيا**، (ندوة التواصل)، ص591.

[2]- عبد السلام أبو سعد، مرجع سابق، ص 30.

[3]- نفسه، ص31.

ومراكش الى هذه المراكز للتدريس فيها، ونشر الثقافة الاسلامية بالسودان الغـــربي أي جنـــوب الصحراء ومن أشهر العلماء المحليين أحمد بابا التمبكتي، ومن أشهر علماء الذين ذكرهم المصـــادر والمراجع الوافدين: عبد الكريم المغيلي التلمساني الذي ساهم كثيرا في نشر العلم والمعرفة بما كـــان يتمتع به من فقه وعلوم إسلامية أخرى[1].

إضافة إلى رحلات الحجيج التي تعد فرصة لطلب العلم والاطلاع علـــى احـــوال البلـــدان الاسلامية والتعرف على العلماء من مشارق الأرض ومغاربها والإستفادة منهم، كما كان لوفـــد الحجيج دور في الحياة العلمية وفرصة يتحينها طلبة العلم للإلتقاء بالعلماء، وأهل الفضل لمجالستهم وحضور دروسهم والإستفاة منهم، وكانت للحجاج محطات وزوايا معلومة يمرون عليها في وقت معلوم من السنة، أثناء ذهابهم وإيابهم[2].

كما ضمت قوافل الحجيج كثيرا من العلماء والفقهاء الأفارقة، ممن كانت لهـــم إســـهامات وآثار بالمنطقة من دون شك، نذكر منهم على سبيل المثال الفقيهين الشيخ أحمد بن عبد العزيـــز القوراري، والشيخ أحمد ابن الشيخ أحمد بابا التمبكتي اللذان حجا رفقة الباشا علـــي بـــن عبـــد القادر[3].

لعبت القوافل التجارية إلى جانب دورها الإقتصادي دور كبير في الحياة العلميـــة فضـــلت تجارة الكتب والمخطوطات التي أصبحت سلعة رائجة لها تجارها وأسواقها، تدر أربحا كثيرة، تعد أضعاف ما تجنيه السلع الأخرى [4]، لهذا أقبل التجار على شراءها والمتاجرة بها وقد منح موقع توات كممر للقوافل التجارية فرصة للتواتيين للاطلاع عليها ونسخها أو حتى شراءها إن أمكن، وبفضل التجارة وصلت عشرات الكتب والمخطوطات إلى الأقاليم ووصل الكثير من التجار والفقهاء [5].

---

[1]- حسن الصادقي، **جوانب من التواصل الثقافي**، (ندوة التواصل)، مرجع سابق، ص265.

[2]- مبارك بن صافي الجعفري، **العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي**، ط1، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائـــر، 2009، ص 135.

[3]- نفسه، ص136.

[4]- حسن الوزان ،ج2، مصدر سابق، ص167.

[5]- مبارك بن الصفي الجعفري، مرجع سابق، ص134.

ويمثل كتاب المخطوط لعلماء ضفتي الصحراء أحد أبرز الأمثلة التواصل، فقد حظي بعناية إما بالتأليف أو النسخ أو الشراء وتزخر المكتبات المغربية على سبيل المثال بالعديد من المخطوطات الإفريقية [1].

III – دينيا:

لقد إنتشر الإسلام في أرجاء إفريقيا عن طريق التجارة واستطاع المسلمون أن يصلوا إلى مناطق واسعة في هذه القارة وكونوا لهم مراكز تجارية في هذه المنطقة واختلطوا بالسكان المحليين وامتزجوا بهم وربما صاهروهم وتزوجوا منهم وأنجبوا منهم أطفالا مسلمين واستقروا في بلادهم.

ففي السودان تدفقت جموع المسلمين عبر المسالك الصحراوية[2] من المراكز الشمالية كطرابلس وفزان وتيهرت وفاس وسجلماسة إلى تمبكتو وغانة وغيرها .

كان لإنتشار الإسلام عوامل ساهمت في ذلك، حيث لعبت حركات الفتح والتوسع والجهاد التي حفل بها تاريخ الاسلامي في المنطقة خلال فترة طويلة، دورا واضحا كان لها أثر في نشر الإسلام[3] الذي قطع أشواطا كثيرة نحو انتشار بالطرق السلمية ونُوجز وسائل انتشار الإسلام فيما يلي:

1- دور التجار والدعاة في انتشار الاسلام:

ليس هناك إختلاف كبير بين التاجر والداعي والفرق البسيط بينهما و أن التاجر يهتم بالتجارة والدعوة معا، أما **الداعي** فكان إهتمامه الأول هو الدعوة إلى الدين الحنيف وكانت غالبية التجار لا تجيد الفقه والفكر الاسلامي وقليل منهم من يستطيع التفرغ لذلك، لذا نجد الكثير من هؤلاء يقدمون الفقهاء والعلماء لتعليم وتثقيف الناس لأمور دينهم ودنياهم وشرح ما يستوجب شرحه لهم فأصبحوا دعاة لهذا الدين[4].

كما أن الدعوة الإسلامية واجبة على كل فرد، بل يحصل منها المسلم على ثواب الذي يعمل في حياته الدنيا جاهدا له وهذا هو الهدف، وهذه هي الغاية وكلها الله[5]، فعن أبي هريرة رضي الله

---

[1]- حسن صادقي، مرجع السابق، ص264.

[2]- أنظر الملحق رقم 09 ص 72.

[3]- محمد أحمد، **التواصل الثقافي العريق بين المناطق الإفريقية الواقعة شمال الصحراء الكبرى وجنوبها**، (ندوة التواصل)، ص160.

[4]- عطية المخزوم الفيتوري، مرجع سابق، ص100_101.

[5]- محمد ناضل علي باري وآخر، **المسلمون في غرب إفريقيا** ، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007، ص41.

عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص من أجورهم شيئا** "[1].

وهناك شعور بالمسؤولية التي ألقيت على كواهلهم يقول تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[2].

لذا كان يعمل بنشاط ولنفسه ويعلم أنه إن أخطأ فله أجر وإن أصاب فله أجران وإنما عليه أن يكون حسن الكلام حكيما في دعوته كما يقول الحق: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾[3].

وقد قال في ذلك المؤرخ **توماس أرنولد** على لسان أحد الشهود إننا نجد الدعاة المسلمين ينفذون إلى قلوب الإفريقيين الوثنيين ويحولونهم إلى الإسلام، وكان من أثر تصرفات الداعية السلمية أن أصبح الزنوج ينظرون للإسلام على أنه دين السود في حين ينظرون إلى المسيحية على أنها دين الأوروبيون البيض[4].

كان **التجار** يمثلون حلقة الإتصال بين المغرب بشعوبه وحضارته وثقافته وبين المحيط الزنجي الواقع إلى الجنوب والذي تمتد شرقا حتى بحيرة تشاد.

وبدخول هذه الفئة (الطوارق أو الملثمون) إلى الإسلام الذي نجح في قلب نمط وسلوك معتنقيه رأسا على عقب، حيث غير من سلوكهم وطبائعهم ومعتقداتهم البالية وقواعد حياتهم فأصبحت كلها تسير وفق المبادئ الإسلامية وما تمليه قواعد الدين الإسلامي ونصوص القرآن الكريم والسنة النبوية فكان التجار الذين تحدثنا عنهم يمثلون فئة من هؤلاء الأفراد الذين غير الإسلام نهائيا من أنماط حياتهم، فقد أصبح سكان القارة يشاهدون أولئك التجار وقد تغيرت طبائعهم وسلوكهم، فقد شاهدوهم الآن وهم يقومون بأداء الصلاة في أوقات محدودة بعد أن

---

[1]-(رواه **مسلم**) .

[2]- سورة آل عمران، الآية 104 .

[3]- سورة النحل ، الآية 125.

[4]- نعيم قداح، مرجع سابق، ص95-96.

يقوموا بالوضوء والطهارة ثم يركعون ويسجدون على الأرض في خشوع تام، فأدركوا أن هناك بدون شك قوة إلاهية عظيمة، هذا دفعهم إلى التفكير في هذه القوة العظيمة [1].

جذبت هذه الصفات الحميدة كثيرا من السكان المحليين للانضمام إلى دين هؤلاء التجار وقد تزوج كثير من التجار المسلمين المقيمين من النساء المحليات وكن هؤلاء في معظم الأحيان من بيوت رؤساء القبائل وأصحاب النفوذ مما ساعد دخول الرؤساء في دين أصهارهم فتتبعهم باقي القبيلة، وقد لعب تعدد الزوجات دورا مهما في خدمة الإسلام، فكان هذا الزواج معروفا في تلك البقاع ولكن من دون ضوابط أو حدود فجعله الإسلام مشروطا بالعدالة و لم يسمح بأن يتجاوز عدد الزوجات أربعا، وكانت الضرورة تقضي في هذه الظروف بتعدد الزوجات فالتاجر ترك زوجته في وطنه يعسر عليه العيش عدة شهور دون زوجته ومن هنا يتخذ له زوجة في المكان الذي يتاجر فيه ويصبح بيته مركزا إسلاميا يلعب دورا كبير في خدمة الإسلام [2].

كان للتجار المسلمين الدور الجليل في انتشار الدين الحنيف في تلك البقاع، بالرغم من أن القليل منهم كان يجيد الفقه والفكر الإسلامي وذلك لعدم تفرغه، وقد عمد بعض التجار إلى تشيد المدارس والمساجد وكثير ما كانوا الطلاب من السكان الأصليين ويرسلهم إلى معاهد إسلامية في مصر والشمال الإفريقي ليتلقوا مزيدا من العلوم وليعودوا قادة الفكر الإسلامي في بلادهم[3].

كذلك لعب ثراء التجار المسلمين آنذاك دور كبير في تحسين صورة الإسلام وكان التاجر المسلم لا يستطيع أن ينسى وهو يعامل الآخرين[4] قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (3) أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (4) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾[5].

لقد تعاون التاجر والداعي تعاونا ملحوظا وبذلا معا جهدا في سبيل نشر الدين وإعلاء كلمة الحق على الأرض الإفريقية، فكما رأينا كثيرا ما كان التاجر يدفع من ماله الخاص ليهيئ للمعلم مكانا يلتقي فيه بالناس ويزوده في نفس الوقت بما يحتاجه من نفقات شخصية، ومقابل هذا يعطي

---

[1]- عطية المخزوم الفيتوري، مرجع سابق، ص101-102.

[2]- شلبي أحمد، **موسوعة التاريخ إسلامي**، مج6، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ،1981، ص205.

[3]- محمد ناضل علي باري و آخر ، المرجع السابق، ص41.

[4]-شلبي أحمد، **موسوعة التاريخ الإسلامي**، مج6، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1981، ص205.

[5]- سورة المطففين، الآية 5.

الداعي من جهده وفكره ما يهدي الناس ويحقق الغاية المنشودة وهي نشر الإسلام، ولقد نجحا معا نجاحا باهرا في هذا المجال، ولكن دورهما وجهدهما مهما بلغ فإنه محدود وتعتبر جهود فردية وقضية نشر الإسلام بصورة أوسع يحتاج لوسائل أكبر وهذا جماعيا منظما وهذا ما ظهر في المرحلة الثانية التي تمثلت في ظهور حركات التصوف وظهورها لم يلغي دور التاجر والداعي بل إستمر كلاهما يعمل ويؤدي دوره .

2- دور الطرق الصوفية في نشر الإسلام:

لعبت الطرق الصوفية[1] دورا كبيرا في دعم العلاقات بين الشمال والجنوب، وشكلت رباطا روحيا جمع المنطقتين على مر الزمن[2]، وقد ساهمت مساهمة جبارة في نصب العلاقة وتقويتها بين سكان الصحراء جنوبا وشمالا وانتشرت جدا والمتمسكون بها اتخذوا العبادة شعارا لها ولذلك كان لهم أثر في الدعوة إلى الإسلام لأنها كانت السياسة الدينية الحقيقية التي تربي المرء تربية حقيقية ربانية، بل تقوي الثقافة والتربية المتبادلة وتساعد على التلاحم الإجتماعي وتشجع على التمسك الحقيقي بالدين وهي مدرسة الفاتحة التي لا حدود لها وتقبل جميع الأجناس والقبائل والشعوب وتجمعهم في دائرة الإعتصام بحبل الله[3].

وأشهر الطرق الصوفية الطريقة القادرية بواسطة الشيخ سيد أحمد الرقادي وهكذا إلى الشيخ سيدى المختار الكنتي، ومن طريقته تفرعت القادرية المختارية والقادرية البكائية ثم الطريقة الشاذلية والزروقية والرجاعية والدرديرية والحزولية الشاذلية والسنوسية والتجانية، إلا أن من هذه الطرق ما انتشر جدا في بعض المناطق دون بعض كالطريقة السنوسية المعروفة بالطريقة السنية لمحمد السنوسي أسسها في ليبيا وكان له زاوية في مكة في العشرينيات من القرن 19م، وكانت الزاوية الكبرى في صحراء ليبيا ثم انتقلت إلى الكفرة جنوب الصحراء فهذه الطريقة مشهورة جدا في ليبيا وتشاد

---

[1]- هي عكوف عن العبادة والإنقطاع، إلى الله والإعراض عن وخف الدنيا وزينتها والزهد فيها يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه وانفراد عن خلق في خلود للعبادة، أنظر: عبد الرحمان ابن خلدون ، **المقدمة**، ط2، دار صادر ، بيروت ،2005، ص375.

[2]- أحمد الحمدي، **المختار الكنتي الكبير من خلال مخطوطه كشف الشهاب بالبرهان والبيان** ، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد1، تصدير المركز الجامعي غرداية، ديسمبر 2006، ص155.

[3]- محمد محمود، **العلاقات الثقافية بين سكان في الشمال والجنوب الصحراء الكبرى**، (ندوة التواصل)، مرجع سابق ،ص51.

ونيجيريا، وهي تنتمي إلى أحمد بن إدريس الفاسي وكذلك محمد عثمان المرغني وأصله من مكة لكنه تتلمذ على أحمد ابن إدريس وأرسله إلى السودان ومن هناك أسس الطريقة الختمية[1].

وكذا التجانية نشأت في الجزائر علي يد الشيخ أحمد التيجاني عام 1781م، أول من نشر هذه الرابطة في غرب إفريقيا وهو الحاج عمر بن سعيد الفوتي الذي ولد عام 1795م، وأخذ الطريقة من الشيخ علي حرازم صاحب جواهر المعاني والتلميذ الأكبر للشيخ أحمد التيجاني، وجدت هذه الطريقة لها أنصارا عديدين في الصحراء الكبرى وغربي إفريقيا ووسطها [2].

حيث قام بن عيسى زعيم زاوية تماسين temassin بجهد ضخم نشرها بين رجال القوافل والتجار، فانتشر أتباع الطريقة في حوض "السنغال" وفي مدينة "تمبكتو" وفي مدينة "سيجو" وأسوا زاويا في مدينة كانو ومدينة "برنوا" وشنقيط واستمرت الطريقة التجانية في النمو والإنتشار والازدهار[3].

كان الانتشار الواسع للإسلام في القرن الافريقي في أثيوبيا و ارتيريا والصومال والموزمبيق، وماجورها من الجنوب الافريقي بحيث جرى القول في منتصف القرن العشرين بأننا نكاد نجد بين كل ثلاثة أفارقة اثنين من المسلمين وحسابهم أن افريقيا قارة الاسلام، وكان الاسلام في الواقع ينتشر في افريقيا انتشار النار في الهشيم كما عبر عنه كثير من المراقبين[4].

إنَّ الاستعمار في إفريقيا قد حرص على أشياء هامة في مقدمتها: طمس معالم الحضارة الاسلامية والتراث الاسلامي بها حتى لا يستطيع المسلمون التعرف عليها وإقامة دعوى خطيرة بأنَّ هذه البلاد كانت مجهولة وغير متحضرة، وعلى أن الاستعمار الأوروبي هو اكتشفها، والمؤرخين والرحالة المسلمين أبحاثا مسجلة عنها، وكذلك عمدوا على التراث الاسلامي إلى العواصم الأوروبية رغبة في إخفائه والقضاء، ثم مضى الاستعمار فحمل على التجار العرب في أنحاء افريقيا

---

[1]- حسن إبراهم حسن، مرجع سابق، ص43-44.

[2]- محمد ناضل علي باري وآخر، مرجع سابق، ص45.

[3]-حورية توفيق المجاهد، **الإسلام في إفريقيا روائع المسيحية والديانات التقليدية**، مكتبة أنجلو مصرية، 2002، ص225.

[4]-عون الشريف قاسم، **الصراع الاسلامي المسيحي في افريقيا**، مجلة دراسات افريقية، العدد20، دار جامعة افريقيا العالمية للطباعة والنشر، الخرطوم، 1999، ص25.

(الذين كانوا يحملون معهم الاسلام) حملات عنيفة منها متهما اياهم بأنهم تجار رقيـــق، وذلـــك وضحت قيودا على تنقلاتهم حتى تفسح المجال للبعثات التبشيرية التي تدفقت على مختلف البقـــاع الصحراوية.

خاتمـــة

كانت الصحراء الكبرى موحّدة للأقطار المغاربية من جهة، وموحدة لشمال الصحراء وجنوبها من جهة أخرى، فلا حدود ولا حواجز تفصل بين قبيلة وأخرى، وكل من فيها يتحرك ويتنقل من جهة إلى أخرى، من المحيط إلى النوبة وحتى الكثبان الرملية كانت في حركة دائمة وتنقل مستمر.

كانت القوافل تخضع قبل انطلاقها لتنظيم محكم ومسبق، بدءا باختيارها للوقت المناسب وأهم الأسواق الحيوية، وحمل السلع الأكثر طلبا في الأسواق، لذا فهي قبل انطلاقها تقوم بإرسال من يزودها بالأخبار من حيث سلامة الطرق، وأمنها وكمية السلع المطلوبة وهذا من أجل ضمان الربح وحفظ الأموال.

فهذه القدرة على التنظيم لم تكن فقط في القافلة من أجل قيام بعملياتها بل مكنتها من استمرارية ربط الشمال الأفريقي بإفريقيا جنوب الصحراء وذلك بمجيء الاستعمار الذي أعطاها ضربة قاضية.

ازدهرت التجارة في الصحراء الكبرى ازدهارا واسعا منذ العصر الوسيط بفضل نشاط العرب والمسلمين التجاري، وانعكس ذلك على المجتمع الذي ازداد تطورا بعد دخول الإسلام إلى المنطقة، وتأثيره المباشر على المجتمع.

لعبت طرق القوافل التجارية أدوارا مختلفة إلى جانب الدور الاقتصادي لها، إذ تعد طريق للتجار وطلبة العلم والحجاج والمسافرين في العالم وغيرها من مستعملي الطريق.

فالأثار التي خلفتها الطرق والقوافل تجاوزت الجانب المادي لتشمل ميادين أخرى خاصة الثقافية والحضارية منها، إذ ساهمت في ربط الصحراء الكبرى بالعالم الخارجي، والتعرف بتراثها وعراقتها ومنتجاتها الفكرية، ومساهمة التجار في نشر الإسلام وتعاليمه، إذ كانوا يجمعون بين التجارة والدعوة.

اذ كانت هذه المراكز الثقافية في الصحراء وجنوبها على صلة وثيقة بالمراكز الثقافية في الشمال الأفريقي ومصر والحجاز فأسفرت عن التواصل الحضاري بين شمال القارة و جنوب الصحراء، بفضل العلاقات التجارية والعلمية والاجتماعية في انتشار الإسلام و الثقافة العربية، و لم يكن الإسلام دينا فحسب وإنما كان دينا وثقافة متآلفين بعضهما البعض، وكان هذا الارتباط أثر

واضح في حياة الإفريقيين، كما كان لانتشار الطرق الصوفية في تلك المناطق حيث وجدت الأرض الخصبة لنموها وظهور أتباعها إلى اليوم مثل الطريقة القادرية، التيجانية وما تفرع من طرق أخرى.

ونخلص في القول أن العلاقة بين سكان الصحراء الكبرى كانت علاقة إسلامية تاريخية قوية وقديمة علمية، ثقافية، أدبية، فقهية، وسياسية تتناول جميع الروابط الاجتماعية، أما العلاقة الثقافية فقد حققت بالتعاليم الدينية وتأثير اللغة العربية وازدهارها وتمسك الملوك بالشريعة الإسلامية وبذلهم قصار جهدهم لنشر الدين والاهتمام بعلماء الإسلام وانتقال الطلاب بين المناطق ووطدوا العلاقات وكانت اللغة العربية لغة الإدارة والدواوين و المراسلات الأدبية والفقهية وبالطرق الصوفية وبصف خاصة بالتبادلات التجارية وتردد القوافل العديدة بين الشعوب.

لقد هيأت القوافل التجارية إلى المناطق الأفريقية التي دخلها أن تتصل بالحضارة العربية الإسلامية في وقت مبكر، فقد أحدث الدين الجديد نشاطا ثقافيا، وحراكا اجتماعيا، ونشاطا اقتصاديا عظيما، فأتاح للمناطق المختلفة صلات التزاوج، والجوار والثقافة، وتبادل السلع والمنافع بشكل أوسع نطاق، حيث أصبحت اللغة العربية وسيلة لحفظ التراث الأفريقي، وكما حمل الدعاة العرب إلى إفريقيا الإسلام، جلية في عادات وتقاليد حسنة في السلوك و المعاملة، و الاختلاط مع المحليّين في مدهم وقراهم ونجوعهم، واستقروا، وتزاوجوا معهم وبثوا فيهم الحضارة الإسلامية فكان لهذا الاختلاط أثره الكبير في تحويل السكان إلى الإسلام، وظهور أجيال جديدة تتقن اللغة العربية وتتحدثها إلى جانب اللهجات الإفريقية المحلية التي استخدمها الدعاة الإفريقيون فيما بعد وسيلة أو أداة لنشر الإسلام.

وهناك علاقات أخرى لا تقل عن هذه أهمية وإن كانت في معظمها لم تحض بالتسجيل في تاريخ المكتوب، وإنما احتفظت بها ذاكرة الشعوب في روايتها التاريخية الشفوية، وتعني بها تلك العلاقات السياسية والثقافية العميقة التي احتفظت بها قبائل الصحراء الكبرى والساحل مع الشمال الإفريقي عبر التاريخ الإسلامي بل وقبل الإسلام.

وفي ختام هذا البحث نخلص فنقول: إن هذه العلاقات التي شملت كل ميادين الحياة قد استمرت طوال القرون القديمة قبل الإسلام، ولكنها تقوّت وتنّوعت خاصة بفضل القوافل التجارية وذلك عبر الطرق الشهيرة العابرة للصحراء الكبرى.

ولما جاء الإستعمار الأوروبي في القرنين التاسع عشر والعشرين ميلادي عمل على طمس هذه العلاقات ووضع الحدود السياسية الفاصلة بين هذه المناطق وغرس في أذهان الأجيال الصاعدة أن هذه المناطق لم تكن بينها علاقات أخوية.

ونجمل القول بأن الإستعمار قاوم الإسلام والثقافة واللغة العربية جميعا خلال أكثر من قرن كامل في نفس الوقت الذي شق فيه الإسلام طريقه، وتوسع حتى أحاط بالقارة إحاطة شاملة وفرض نفوذه الفكري والثقافي والإجتماعي كتيار تقدمي واضح الأثر...

وقد تَكَوَّن إنطباع عندنا بعد إنتهاء هذا العمل هو طابع الإندهاش بالدرجة الأولى، إندهاش من الأهداف الأولى التي رسمت للبحث والنتائج التي انتهى إليها بالفعل، في البداية كنا نتصور المراحل الرئيسية في توضيح وإجلاء بعض الوقائع التاريخية لنجد أنفسنا نتوغل في جغرافية الصحراء الكبرى عابرين كل حواضرها وطرقها التي هيأت حركةً نشطة لتجارة القوافل.

فهذا الطرح وهو ما يمكن أن نسميه المساهمة في دراسة الجنوب (الصحراء) بتقديم هذه الأطروحة كنموذج وعلى العموم فالنموذج الصحراء لايزال ميدانا خصيبا غني بكثير من المعطيات التي يمكن أن يساهم في صياغة ورؤية تجارة الصحراء بصورة عامة.

الملاحق

الملحق رقم (01): تمثل جغرافية الصحراء الكبرى

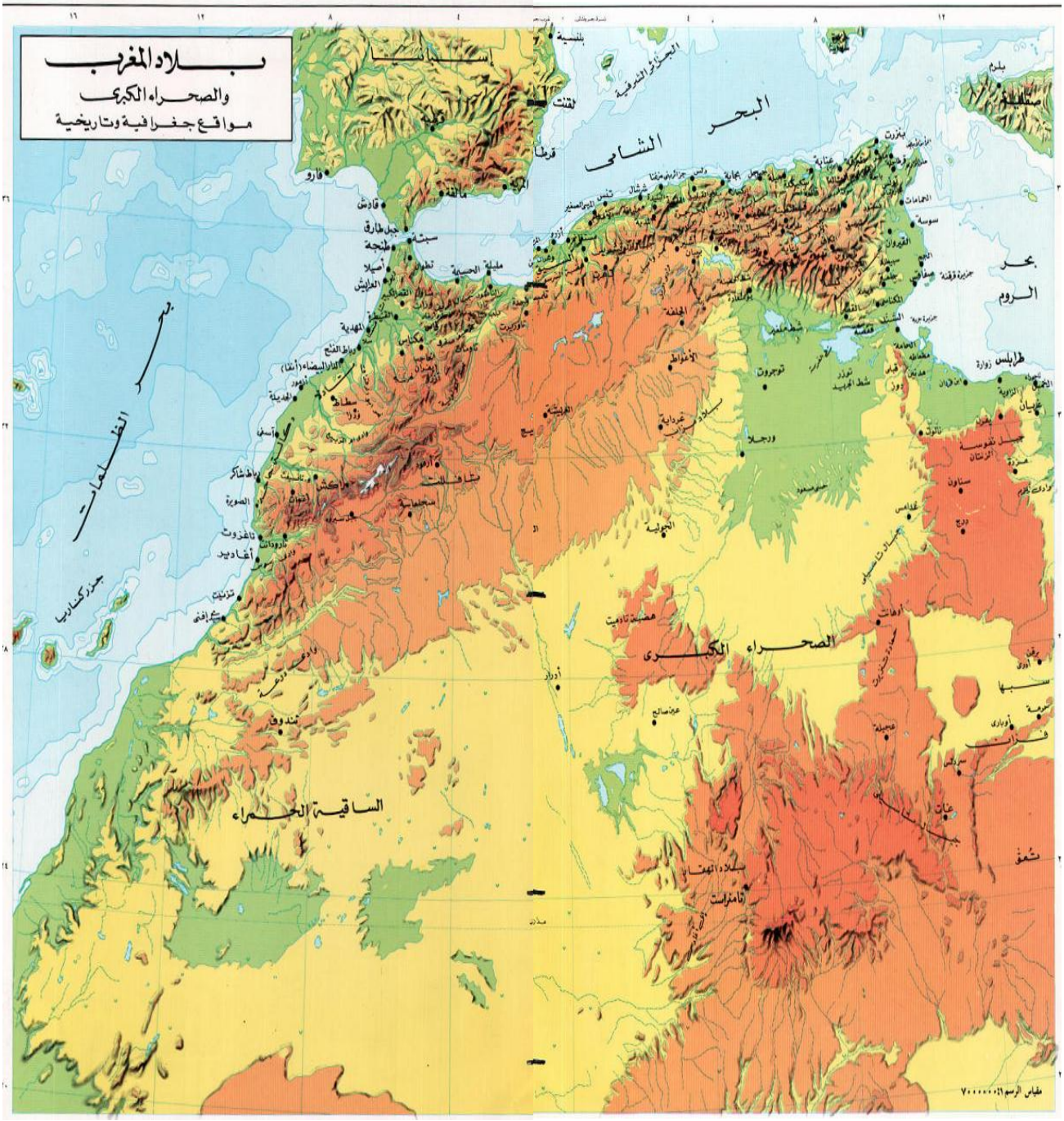

المرجع: حسن مؤنس، تاريخ الإسلام، ط1، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1987، ص 157.

الملحق رقم (02): جغرافية بلاد السوادن

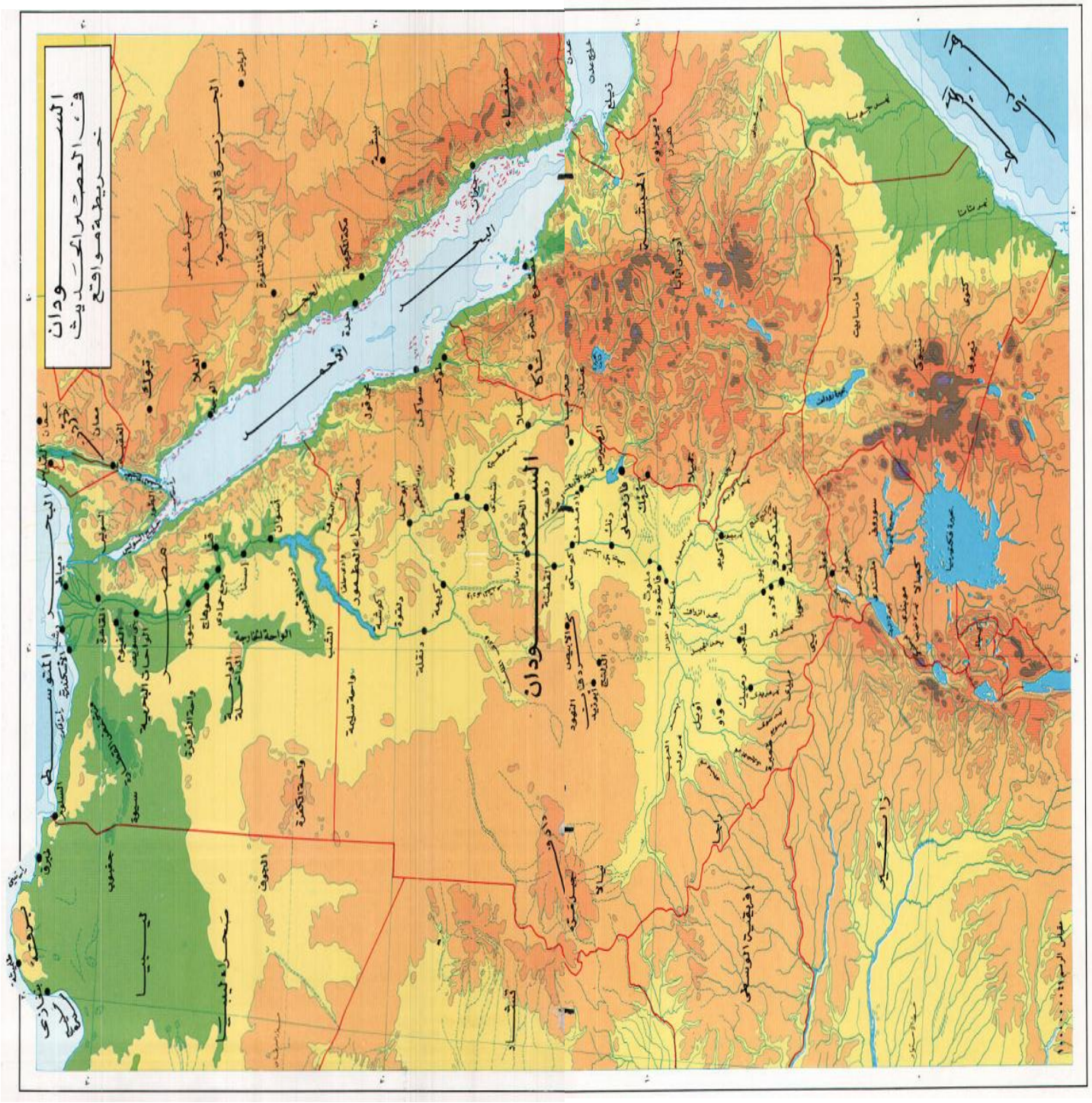

المرجع: حسن مؤنس، المرجع السابق، ص 328

الملحق رقم (03): خريطة تمثل موقع منطقة نول لمطة

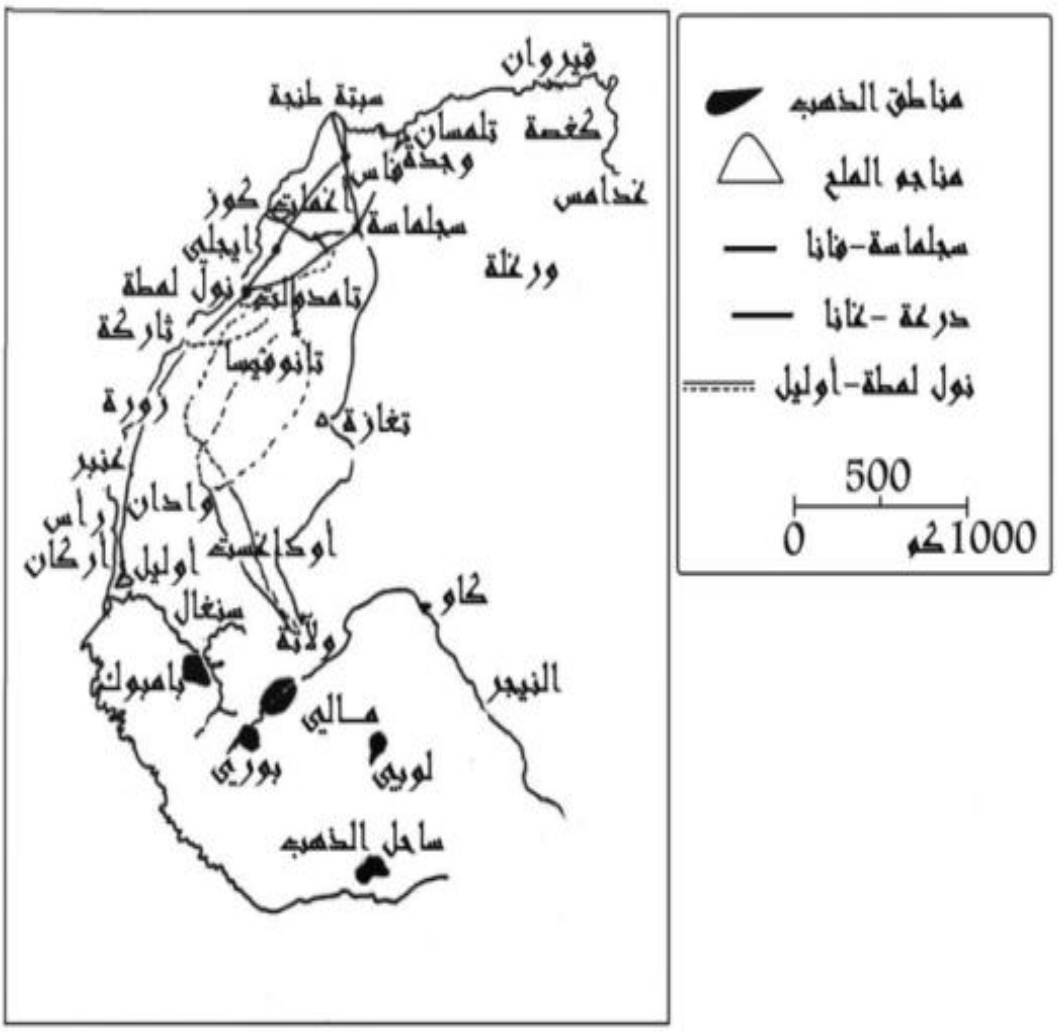

المرجع: سعيد الحراش، مجلة المناهل، وزارة الثقافة، الرباط، المغرب، 1394هـ/1974م، ص 171.

الملحق رقم (04): يمثل توزيع السكان بأفريقيا.

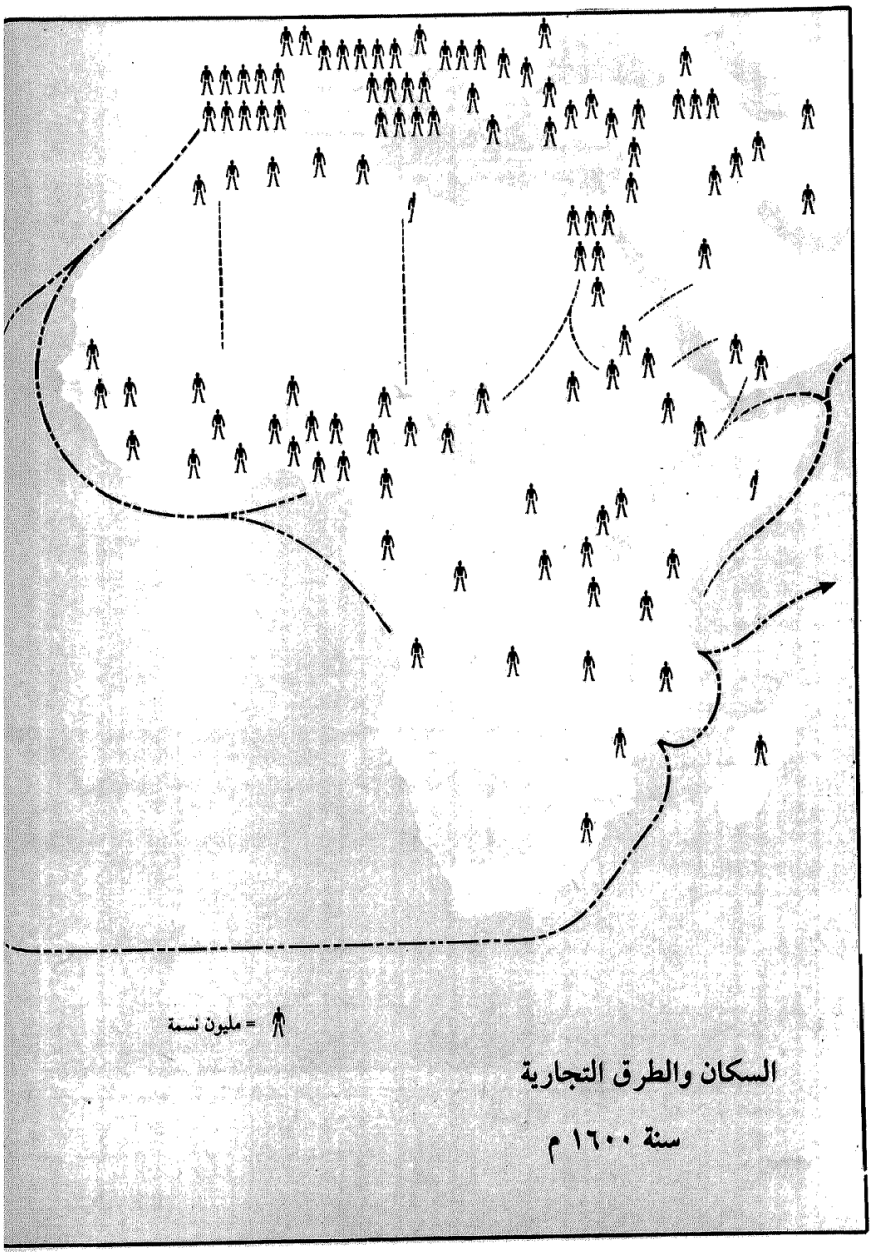

المرجع: كولين ماكيفيدي، أطلس التاريخ الإفريقي، تر: مختار السويفي، مراجعة محمد الغربي موسى، الهيئة المصرية للكتاب، 1987، ص 401.

الملحق رقم (05): يمثل خريطة لأهم المحاصيل الاقتصادية التي تخص الصحراء.

المرجع: حسن مؤنس، المرجع السابق، ص 358.

الملحق رقم (06): تمثل رحلة ابن بطوطة.

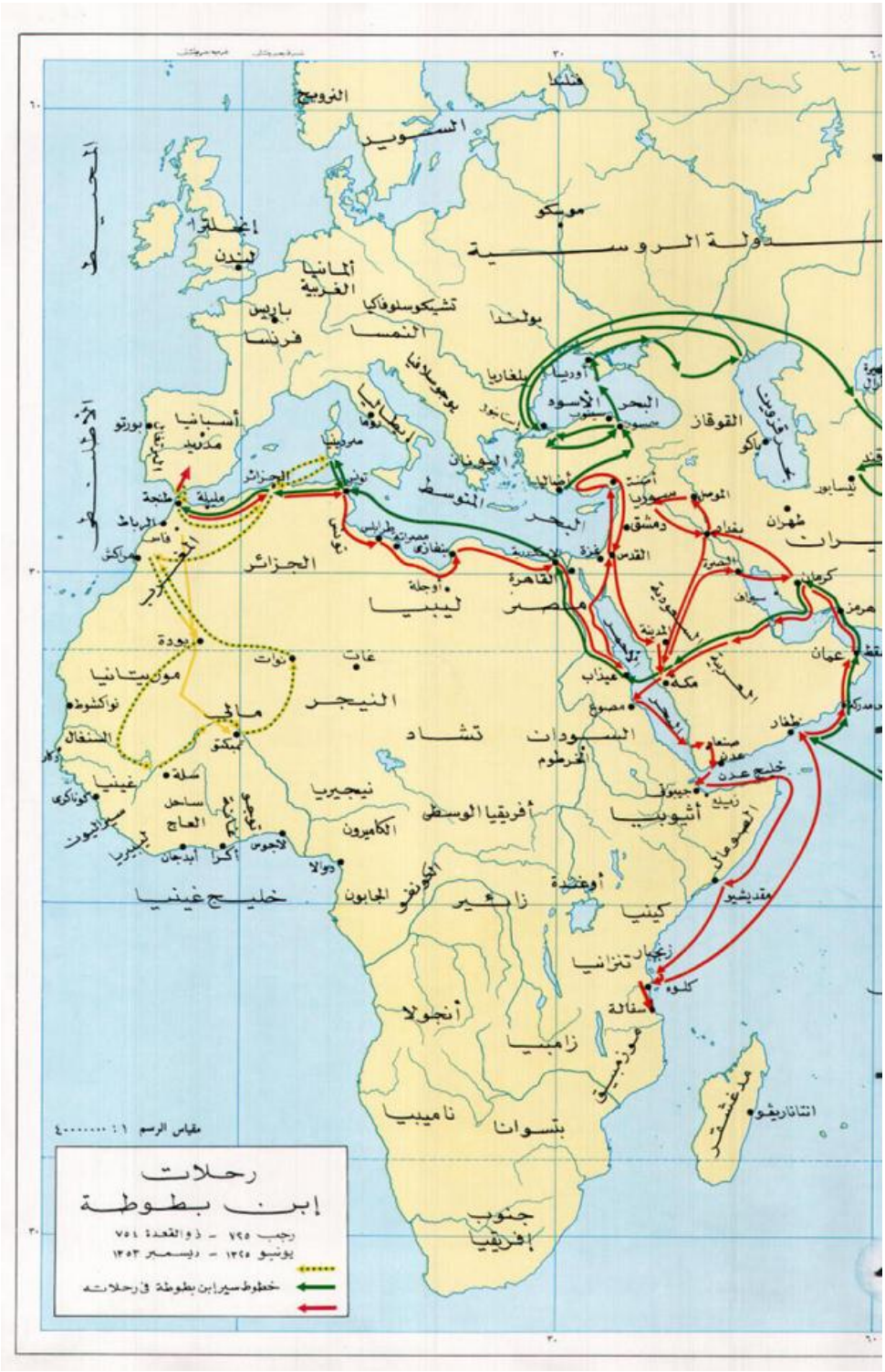

المرجع: حسن مؤنس، مرجع سابق، ص 429.

الملحق رقم (07): يمثل رحلة الرحالة الأوروبي بارث.

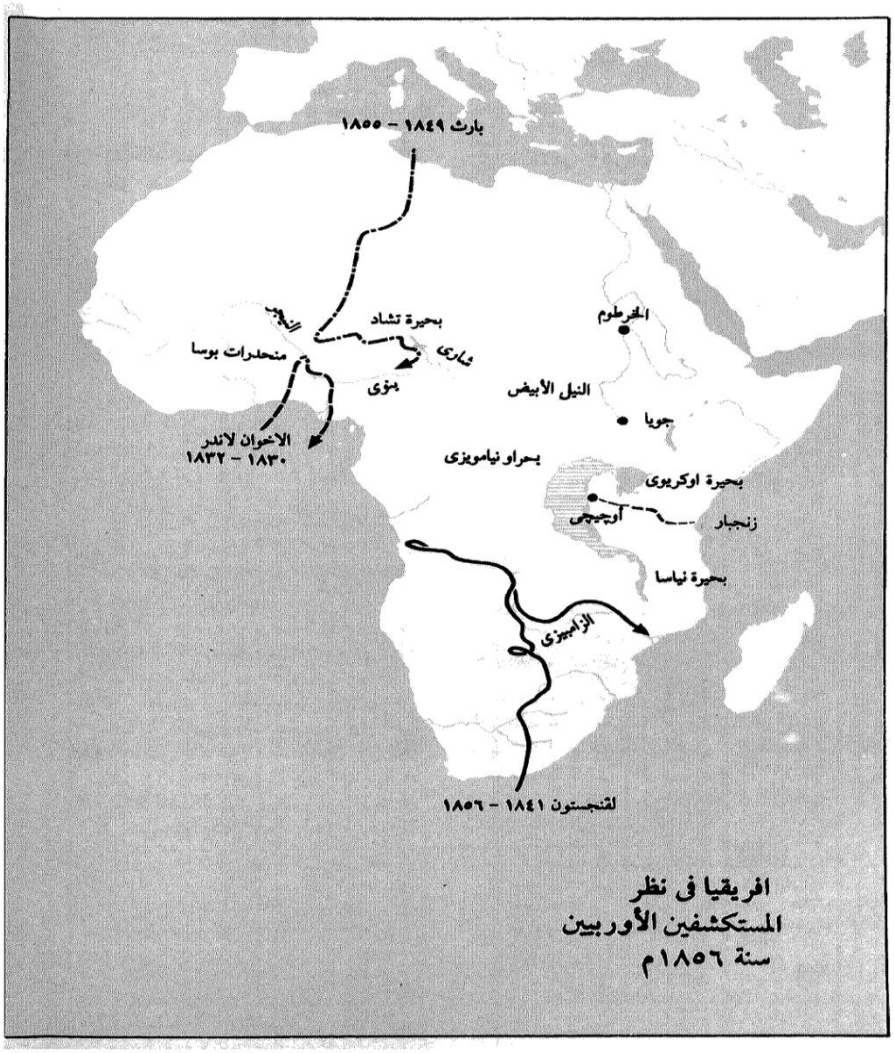

المرجع: كولين ماكيفيدي، مرجع سابق، ص175.

الملحق رقم (08): يمثل الطرق والحواضر الصحراوية التجارية.

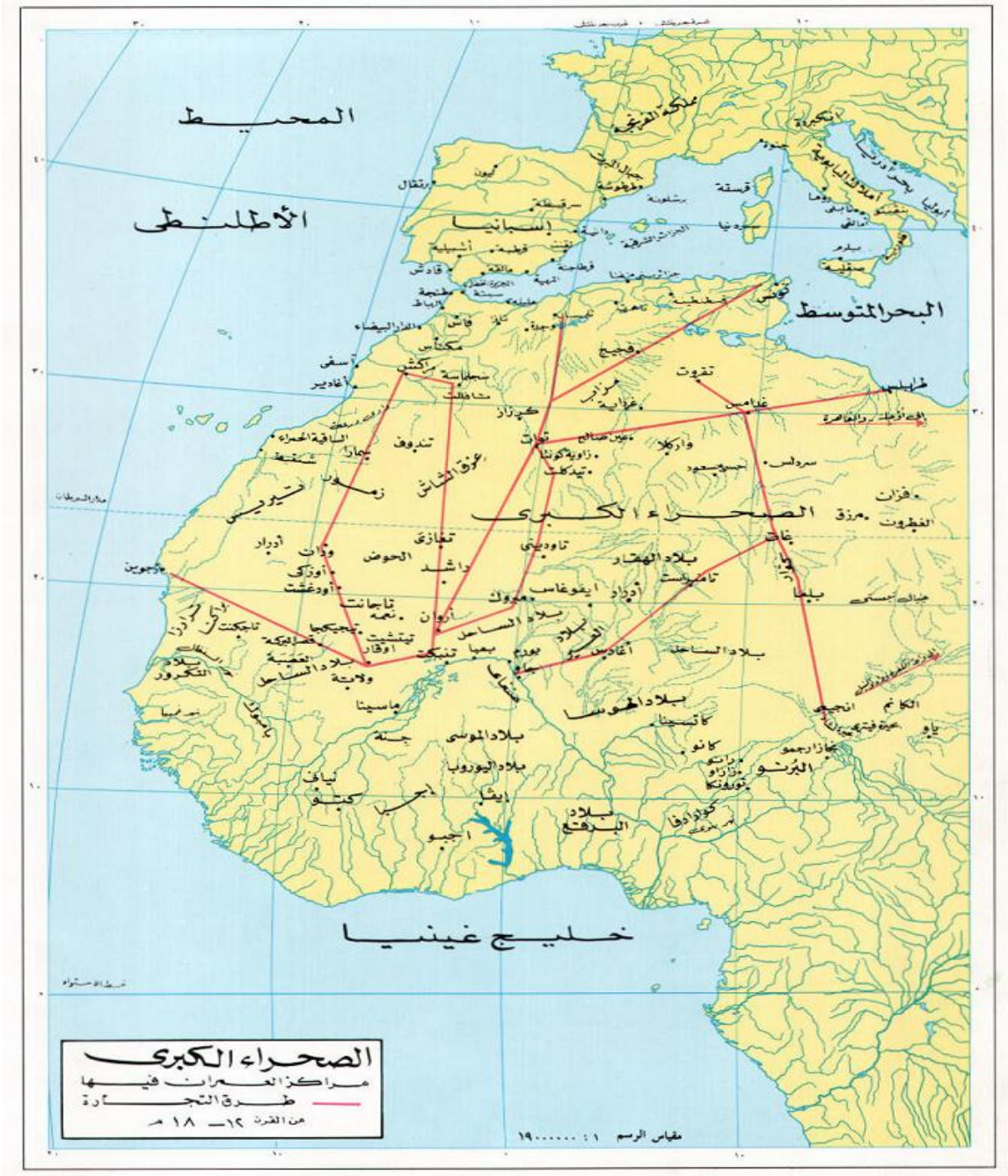

المرجع: حسن مؤنس، مرجع سابق، ص404.

الملحق رقم (09): يمثل توسع الإسلام في السودان (الغربي– الأوسط – الشرقي).

المرجع: شوقي أبو خليل، أطلس التاريخ العربي الاسلامي، ط5، دار الفكر، دمشق، 2002، ص74.

البيبليوغرافيا

القرآن الكريم

أ- المصادر العربية:

1. ابن بطوطة أبو عبد الله محمد بن عبد الله ، **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، المطبعة الوطنية، باريس، 1874-1879.

2. ابن حوقل أبي القاسم بن حوقل النصيبي ، **صورة الأرض**، منشورات دار مكتبة الحياة، لبنان (د.ت).

3. ابن منظور أبو الفضل محمد بن مكرم ، **لسان العرب**، مج 4، دار صادر، بيروت، د ت.

4. أبو عبد الله البكري، **المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب**، تح: دي سلان، مكتبة الحكومة الجزائر، 1857.

5. الادريسي أبو عبد الله محمد الهاشمي، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، الجزء الخاص بالقارة الإفريقية وجزيرة الأندلس تح: اسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983.

6. حسن بن محمد الوزان، **وصف افريقيا**، تح: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1983.

7. الحُضَيْكي ابن عبد الله محمد ابن أحمد، **الرحلة الحجازية**، ضبط وتعليق: عبد العالي لمدبر دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، 2011.

8. عبد الرحمان ابن خلدون، **المقدمة**، ط2، دار صادر، بيروت،2005.

9. عبد الرحمان بن خلدون، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، مج 6، منشورات الكتاب اللبناني، بيروت، 1962.

10. العياشي أبو سالم عبد الله بن محمد ، **الرحلة العياشية**، تح: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، مج1، دار السويدي للنشر والتوزيع، الامارات العربية، 2006.

11. العياشي أبو سالم عبد الله بن محمد، **لقط الفرائد من ماء الموائد**، مختصر الرحلة العياشية1661-1663م، اعداد سليمان القرشي، دار التوحيدي، المغرب الأقصى، 2012.

12. الفاسي أبو الحسن علي ابن عبد الله ابن ابي زرع، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973.

13. القشتالي أبي فارس عبد العزيز، **مناهل الصفاء في مآثر موالينا الشرفاء**، تح: عبد الكريم كريم، وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية، الرباط.
14. مختار بن الطاهر فيلالي، **رحلة الورثيلاني "عرض ودراسة"**، دار الشهاب، الجزائر، 1995.
15. المقري أحمد بن محمد التلمساني، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تر :إحسان عباس، دار الصادر، بيروت، 1988.
16. الناصري أحمد بن خالد، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، مج:2، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، الدار البيضاء، 1954.
17. ياقوت الحموي شهاب الدين أبي عبد الله ، **معجم البلدان**، ج3، تح: فريد عبدالعزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت.

ب- **المراجع العربية**

1. أ.ج هوبكتر، **التاريخ الاقتصادي لأفريقيا الغربية**، تق: محمد عبد الغني سعودي، تر: أحمد فؤاد بليع، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1998.
2. أبو خليل شوقي، **أطلس التاريخ العربي الاسلامي**، ط5، دار الفكر، دمشق، 2002.
3. أحمد قاسم، **ايالة تونس العثمانية على ضوء فتاوى ابن عظوم (1574_1600)**، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس،2004.
4. أحمد محمود حسن، **الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا**، ج1، دار النهضة، القاهرة، 1963.
5. أعفيف محمد، **المسالك الصحراوية توات حلقة اتصال بين المغرب وافريقيا العربية**، منشورات جمعية موظفي كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط.
6. أعفيف محمد، **توات مساهمة في دراسة مجتمعات الواحات وتاريخها**، ط1، أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2014.
7. أفا عمر، **التجارة المغربية في القرن التاسع عشر (البنيات والتحولات) 1830-1912م**، ط1، مكتبة دار الأمان، الرباط، 308.

8. أفريك جون، **تاريخ افريقيا العام**، ج3، منظمة اليونسكوا، 1984.

9. بشار قويدر، **القواقل التجارية المغاربية**، ضمن كتاب القوافل بالتعاون مع اللجنة الوطنية لليونسكو، المركز الوطني للبحوث، الجزائر، 2001.

10. بن خروف عمار، **العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغـــرب في 10هـــ/16م**، ج2، دار الأمل، الجزائر،2000.

11. بن صافي الجعفري مبارك، **العلاقات الثقافية بين توات والســـودان الغـــربي**، ط1، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

12. البوزيدي أحمد، **التاريخ الاجتماعي لدرعة مطلع القرن17م، مطلع القرن20م (دراسة في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية من خلال الوثائق المحلية)**، آفاق المتوســـطية، الـــدار البيضاء، 1994.

13. بوعتروس أحمد، **الحركات الاصلاحية في إفريقيا جنوب الصحراء إبان القرن 13هـــــ-19هـــ**، دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر، 2009.

14. بوعزيز يحي، **تاريخ افريقيا الغربية الاسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلى مطلـــع القرن العشرين**، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2001.

15. توفيق المجاهد حورية، **الإسلام في إفريقيا روائع المسيحية والديانات التقليديـــة**، مكتبـــة أنجلو مصرية، 2002.

16. الديناصوري جمال الدين وآخرون، **جغرافية العالم**، ج1، مكتبة الأنجلومصرية، 1967.

17. رأفت اجلال محمود وإبراهيم أحمد نصر الدين، **القرن الإفريقي "الـــتغيرات الداخليـــة والصراعات الدولية"**، دار النهضة، القاهرة، 1958.

18. زكريا قاسم جمال، **الأصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية**، منظمة العربية والعلـــوم معهد البحوث والدراسات العربية، 1975.

19. زيادة نقولا، **افريقيات (دراسات في المغرب العربي والسودان الغـــربي)**، ط1، ريـــاض موريس للكتب والنشر، لندن، يناير، 1991.

20. السعدي عبد الرحمان، **تاريخ السودان**، مطبعة تونس، 1964.

21. السيد أحمد العراقي، **تجارة القوافل بين الشمال وغرب إفريقيا وأثرها الحضاري**، ضمن كتاب تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر، نشر المنظمة العربية للتربية والثقافية والعلوم معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد، 1984.

22. شرف الدين محمد، **مدخل إلى تاريخ طرابلس الاجتماعي والاقتصادي (1711_1833م)**، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1989.

23. شلبي أحمد، **التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية**، ج2، الأنجلومصرية، القاهرة

24. صابر محي الدين، **العرب وإفريقيا العلاقات الثقافية**، ط1، المكتبة المصرية، لبنان، 1987.

25. الصياد محمد محمود، **مدخل للجغرافيا الاقليمية**، دار النهضة العربية للنشر، د.ت.

26. عبد اللطيف حميد، **المجتمع والدولة والإستعمار في ليبيا**، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1988.

27. العربي اسماعيل، **الرحلة والاستكشاف في البر والبحر**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1986.

28. العربي إسماعيل، **الصحراء الكبرى وشواطئها**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1980.

29. عطاء الله الجمل شوقي عبد الرزاق وإبراهيم، **تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**، ط2، دار الزهراء للنشر والتوزيع، 1422هـ-2002م، الرياض.

30. العلوي عبد العزيز، **العلاقات التجارية والثقافية بين المغرب المريني وإمبراطورية مالي** (دت).

31. علي الشامي صلاح الدين وآخرون، **جغرافية العالم الاسلامي**، ط1، منشأة المعارف الاسكندرية، 1987.

32. علي باري محمد فاضل وسعيد ابراهيم، **المسلمون في غرب افريقيا تاريخ وحضارة**، ط1 دار الكتب العلمية، لبنان، 2007.

33. علي ذهني الهام محمد، **جهاد الممالك الاسلامية في غرب افريقيا ضد الاستعمار الفرنسي(1850-1988م)**، دار المريخ للنشر، الرياض، 1988.

34. الغربي محمد، **بداية الحكم المغربي في السودان الغربي**، ج1، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر، الكويت،(د.ت).

35. فرج محمود فرج، **اقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع الميلاديين**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977.

36. فيرون ريمون، **الصحراء الكبرى "الجوانب الجيولوجية" مصادر الثروة المعدنية استغلالها** تر: الدناصوري جمال الدين، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، 1963.

37. فيصل محمد موسى، **موجز تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**، منشورات الجامعة المفتوحة بنغازي، 1997.

38. قداح نعيم، **افريقيا الغربية في ظل الاسلام**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1977.

39. كربخالمارمول، **افريقيا**، ج1، تر:محمد حجي، محمد زنيبر، محمد الأخضر، أحمد التوفيق أحمد بن جلون، مكتبة المعارف، المغرب، 1984.

40. ماكيفيدي كولين، **أطلس التاريخ الافريقي**، ترجمة: مختار السويفي، مراجعة: محمد العربي موسى، الهيئة المصرية للكتاب، 1987.

41. مبروك الدالي الهادي، **التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء (من نهاية القرن الخامس عشر الى بداية القرن الثامن عشر)**، مكتبة الاسكندرية، 1998.

42. محمد حجي، **الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين**، منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1977م/1324هـ.

43. مخزوم الفيتوري عطية، **دراسات في تاريخ شرق إفريقيا جنوب الصحراء (مرحلة انتشار الإسلام)**، ط1، منشورات قازيونس، بنغازي، 1998.

44. مقلد الغنيمي عبد الفتاح، **حركة المد الإسلامي في غرب إفريقيا**، مكتبة نهضة الشرق مصر، 1985.

45. مونتاي فنسان، **الإسلام في إفريقيا السوداء**، تر: إلياس حنا إلياس، ط1، دار أبعاد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1983.

46. مؤنس حسين، **أطلس تاريخ الاسلام**، ط1، الزهراء للأعلام العربي القاهرة، 1987.

47. ناضل علي باري محمد و آخر، **المسلمون في غرب إفريقيا**، ط1، دار الكتب العلمية بيروت، 2007.

48. نصير الأبيض رجب، **مدينة مرزوق وتجارة القوافل الصحراوية خلال القرن التاسع عشر، (دراسة في التاريخ السياسي والاقتصادي)**، ط1، دار الكتب الوطنية، ليبيا، 1998.

49. ولد الحسن الناني، **صحراء الملثمين**، ط1، دار المدار الاسلامي، لبنان،2007.

50. ولد السالم حماه الله، **المجتمع الأهلي الموريتاني مدن القوافل (1591-1898م)**، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، مارس 2008.

ج- المصادر والمراجع الأجنبية

1. Carratte (E) , Du **commerce de l'Algerie avec l'Afrique centrale et les étatsBarbaresques**, Paris, 1844.
2. Carrete, **recherches sur la géographie et commerce de l'algérieméridienale**, paris, 1840.
3. Dumas, **le Sahra organisation D'une Caravance**, Revue de l'onrient de l'Algérie et des Colonies,T 15, Paris, 1854.
4. Many R: **les sieclesobseurs de l'afrique noire**,fayad, paris, 1970.
5. Polmer ,**Bornu sahra and sudan**, London, 1936.
6. Sligmen ,E ; **Races of Africa** , london, 1959.

د- الندوات/ المجلات:

- **الندوات:**

1. أعمال ندوة "**التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الافريقية على جانبي الصحراء**" تنظيم:كلية الآداب (تطوان – المغرب) وكلية دعوة اسلامية (طرابلس – الجماهيرية)، أيام 15 – 17 محرم 1428 هـ الموافق 12 – 14 (الماء – 5) 1998م، افرنجي، ط1، مراجعة وتقديم: عبد – الحميد، منشورات كلية الدعوة الاسلامية، طرابلس.

- أبو سعد عبد السلام، **العلاقات الثقافية بين الشعوب الافريقية وأثر الاسلام واللغة في ترسيخها.**

- أحمد محمد، **التواصل الثقافي العريق بين المناطق الإفريقية الواقعة شمال الصحراء الكبرى وجنوبها.**

- تاوشيخت لحسن، **سجلماسة كمحطة للتواصل الحضاري بين ضفتي الصحراء.**

- حسن السوري صلاح الدين، **العلاقات بين ليبيا وشعوب الصحراء.**
- الشريف محمد، **الجالية المغربية ببلاد السودان الغربي.**
- الصادقي حسن، **جوانب من التواصل الثقافي.**

- محمود محمد، **العلاقات الثقافية بين سكان في الشمال والجنوب الصحراء الكبرى.**
- المؤدب محمد تأمين، **جوانب من الصلات الثقافية بين المغرب وغرب إفريقيا.**

2. أعمال ندوة "**التجارة في علاقتها بالمجتمع والدولة عبر تاريخ المغرب** "، من 15 الى 17 رجب 1409هـ موافق 23/21فبراير 1989م، برئاسة: عمر أفا، ج2، الجلسة الرابعة، عين الشق، الدار البيضاء.

- طموح زهرة، **تنظيم القافلة خلال القرن 19م**، كلية الأدب، الرباط.
- عبدي محمد ولد، **حاضرة تنبكتو تاريخها منجزها الحضاري وصورتها في مرايا الرحالة العرب والمسلمين.**

3. الظريف محمد، **التواصل الثقافي بين الغرب والسودان خلال القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين**، بحوث ندوة التي عقدتها بمناسبة مرور أربعة قرون ونصف على ولادته، مراكش 22-25 صفر1412هـ/ 2-5سبتمبر 1991.

4. قرقزان محمد، **أحمد بابا علم النهضة الثقافية في غرب افريقيا**، (أحمد بابا التمبكتي، بحوث الندوة التي عقدتها ايسيسكوا بمناسبة مرور أربعة قرون ونصف على ولادته، 22-25صفر الخير 1412هـ/ 2-5سبتمبر 1991)، منشورات المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم الثقافة، ايسسكوا 1414هـ/1993.

- **المجلات:**

1. أبه الأبقاري محمد أمين، **نشأة الممالك**، قسم التاريخ والجغرافيا بالمعهد العالي للعلوم التربوية، أنجمينا، تشاد.

2. أحمد بلولة ابراهيم محمد، **الهجرات والقوافل التجارية عبر الصحراء الكبرى وأثرها في نشر الاسلام وحضارة الاسلامية**، دراسات دعوية، فبراير2005، العدد09.

3. أعفيف محمد، **المسالك الصحراوية توات حلقة اتصال بين المغرب وافريقيا الغربية (العلاقات بين المغرب وافريقيا الغربية)**، منشورات جمعية موظفي كلية الآداب والعلوم الانسانية منشورات عكاظ، الرباط.

4. اكمير عبد الرحمان، **الحضور المغربي الأوروبي في إفريقيا الغربية**، مجلة المستقبل العربي العدد281،جويلية 2002.

5. بوعزيز يحي، **طرق القوافل والأسواق التجارية كما وجدها الأوروبيون بالصحراء الكبرى خلال القرن التاسع عشر**، مجلة الثقافة، العدد 59، الجزائر، 1980، ص133

6. حراش سعيد، مجلة المناهل، وزارة الثقافة، الرباط، المغرب، 1394هـ/1974.

7. حسن بوفضل، **جذور العلاقات بين الثقافة العربية والثقافة الافريقية**، مجلة تاريخ العرب والعالم، عدد89-90، دار النشر العربية.

8. حسن حسن إبراهيم، **مسالك الاسلام الى القارة الافريقية**، مجلة البينة، العدد الأول، السنة الأولى،ماي1963، المغرب.

9. حسين أحمد الياس، **طرق القوافل عبر الصحراء والممالك الافريقية جنوبي الصحراء الكبرى في المصادر العربية**، مجلةدراسات إفريقية، مركز البحوث والدراسات الافريقية، جامعة افريقيا، العدد الثاني.

10. الحمدي أحمد، **المختار الكنتي الكبير من خلال مخطوطه كشف الشهاب بالبرهان والبيان**، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد1، تصدير المركز الجامعي غرداية، ديسمبر 2006.

11. زبادي عبد القادر، **محمد بن عبد الكريم المغيلي**، مجلة الأصالة، السنة الرابعة، العدد26 الجزائر، 1975.

12. سعد الله أبو لقاسم، مع العياشي في رحلته الى القدس، مجلة التاريخ العربي، العدد 10 جمعية المؤرخين المغاربة، الامارات العربية، 1999.

13. العربي إسماعيل، **مسالك الاسلام والعربية الى الصحراء الكبرى**، مجلة الثقافة، العدد 62 مارس أفريل، 1981، الجزائر.

14. قادر عبد القادر، **علماء توات في الدرس اللغوي خلال القرنين 12هـ و13هـ**، مجلة أثر العدد19، جانفي، 2014.

15. قاسم عون الشريف، **الصراع الاسلامي المسيحي في افريقيا**، مجلة دراسات افريقية العدد20، دار جامعة افريقيا العالمية للطباعة والنشر، الخرطوم، 1999.

ه- الموسوعات:

1. أحمد شلبي، **موسوعة التاريخ إسلامي**، مج6، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1981.

- و- المذكرات:

1. حفيان رشيد، **الطرق والقوافل التجارية بين الحواضر المغاربية وأثرها الحضاري في العهد العثماني خلال القرنين 11-12هـ/17-18م**، مذكرة لنيل شهادة الماجيستر في التاريخ الحديث والمعاصر، أشراف: حليفة حماش، تخصص: العلاقات الاقتصادية والثقافية بين الجزائر العثمانية ودول المغرب الكبير، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية، 2013-2014.

2. علي بوترعة، **القوافل التجارية ودورها في العلاقات الحضارية بين بلاد المغرب العربي ومنطقة السودان جنوب الصحراء خلال القرنين (الثامن عشر والتاسع عشر)**، مذكرة لنيل شهادة الماجيستر في التاريخ، اشراف: بوصفصاف عبد الكريم، تخصص: التاريخ الافريقي الحديث والمعاصر، الجامعة الافريقية العقيد أحمد دراية- أدرار، 2009.

فهرس المحتويات

المحتوى الصفحة

شكر وعرفان

إهداء

مقدمة..... أ- ه

الفصل الأول: جغرافية الصحراء الكبرى

I. المبحث الأول: التسمية والحدود..... 7

التسمية..... 7

الحدود الجغرافية..... 10

II. المبحث الثاني: التركيبة الإجتماعية..... 14

سكان الصحراء..... 14

طبائعهم وديناتهم..... 17

III. المبحث الثالث: البنية الإقتصادية..... 21

الأنشطة الإقتصادية لسكان الصحراء..... 21

الجانب التجاري..... 23

الفصل الثاني: القوافل التجارية في الصحراء الكبرى

I. المبحث الأول: تعريف القافلة..... 29

مفهوم القافلة (لغة وإصطلاحا)..... 29

تنظيم القافلة التجارية..... 31

II. المبحث الثاني: شبكة الطرق التجارية..... 37

طرق القوافل عبر الصحراء الكبرى في بعض الرحلات العربية..... 37

المسالك التجارية..... 41

III. المبحث الثالث: الحواضر التجارية الكبرى لتجار القوافل 44

المراكز التجارية..... 45

البضائع المتداولة..... 51

الفصل الثالث: دور القوافل التجارية في ربط العلاقة بين شمال وجنوب الصحراء الكبرى

I. المبحث الأول: الدور الإقتصادي..... 54
التبادل التجاري..... 54
الأمن الغذائي..... 57
II. المبحث الثاني: الدور الإجتماعي والثقافي..... 65
إجتماعيا..... 65
ثقافيا..... 66
III. المبحث الثالث: الأثر الديني..... 69
دور التجار والدعاة في نشر الإسلام..... 69
دور الطرق الصوفية في نشر الإسلام.....
الخاتمة..... و-ح
قائمة الملاحق..... 81
قائمة البيبليوغرافيا
فهرس المحتويات